الأسرار البلاغية
في كتاب النكاح من صحيح البخاري
(أحاديث مختارة)

دكتوره

آمنة الظريف محمد الأعصر

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية بنات الزقازيق

عنوان البحث : الأسرار البلاغية في كتاب النكاح من صحيح البخاري (أحاديث مختارة)

كلمات مفتاحية : السنة – النكاح – أسرار – بلاغية– الصحيحين – أحاديث مختارة – البلاغة النبوية .

اسم الباحث : آمنة الظرف محمد الأعصر

عنوان الباحث : كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر .

التوصيف الأكاديمي: مدرس

الإيميل الجامعي: Amnaelasaar@azhar.edu.eg

ملخص البحث بالعربي

لما كان أجل الكلام بعد كلام الله كلام خاتم أنبيائه محمد عليه الصلاة والسلام ، وسنته المطهرة التي هي المصدر الثاني للتشريع ، وقد جاءت هذه السنة مبينة لما في القرآن الكريم من أحكام وآداب تنظم العلاقة بين أفراد الأسرة فضلا عن المجتمع، إلى غير ذلك من أمور ، ومن هذه العناية بالحديث الشريف – الوقوف على أسراره البلاغية ، وهي ما تحاول هذه الدراسة أن تحيط بشيء منه بما تهيأت له من صفات القوة والجزالة والرقة والسهولة ، وإيضاح أسراره وجمالياته، والبعد عن المبالغة والتكلف ، كما أراد البحث أن يثبت ما للعلوم البلاغية من أهمية كبيرة تتجلى في كشف النقاب عن جماليات الحديث النبوي من خلال علوم البلاغة الثلاث (البيان – المعاني– البديع) ، حيث قام البحث بتحليل بعض نماذج من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب النكاح التي تبرز فيها مهارة اللغة العربية في استيعاب النص بلاغة الأحاديث النبوية، وجماليات أساليبه ، ولعل هذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الذي كان بعنوان " الأسرار البلاغية في كتاب النكاح من صحيح البخاري (أحاديث مختارة) " وهي مجموعة من الأحاديث تخص أسمى العلاقات بين الرجل والمرأة ، وهي العلاقة الزوجية التي تقوي روابط الأواصر بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع الواحد مما يعود على المجتمع بالنفع من حيث الترابط والانسجام والقوة .

ملخص البحث بالإنجليزية

Whereas, after the word of God, the order of speech was the word of the Seal of His Prophets, Muhammad, peace be upon him, and his cleansed year, which is the second source of legislation. And from this attention to the noble hadith - to stand on his rhetorical secrets, which is what this study tries to surround with some of it, including the characteristics of strength, humor, tenderness and ease, and clarify its secrets and aesthetics, And away from exaggeration and costly, as the research wanted to prove the great importance of rhetorical science is manifested in the unveiling of the aesthetics of the Prophet's talk through the three sciences of rhetoric (the statement - meanings _ Budaiya), where the research analyzed some examples of the hadiths of the Prophet, peace and blessings be upon him In the book Al-Nikah, in which the skill of the Arabic language emerges in understanding the text with the eloquence of the prophetic sayings and the aesthetics of its methods, and perhaps this prompted me to choose this topic which was titled "Rhetorical Secrets in the Book of Marriage by Sahih Al-Bukhari (Selected Hadiths)" which is a group of hadiths related to Asma Relationships between men and women, and It is the marital relationship that strengthens the bonds of ties between members of one family and one community, which benefits the community in terms of interdependence, harmony and strength.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، النبي العدنان سيدنا محمد وعلى آلة وأصحابه الغر الكرام، أرباب الفصاحة وأساطين البيان.

أما بعد:

فإن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وتأكيد لما بين كتاب الله من أحكام، وحديث رسول الله لا تعلوه فصاحة إلا القرآن الكريم " وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " فقد آتاه الله جوامع الكلم، وتخير له البيئة التي جعلته أبلغ العرب إذ كان مولده في بني هاشم ورضاعته في بني سعد، وكان كلامه من تعليم الله وفضله عليه، فهو أفصح العرب قاطبة وفي ذلك يقول حبيبنا عليه السلام:" أنا أفصح العرب بيد أني من قريش:

وفي ذلك يقول الرافعي ويشير إلى هذا الكلام :" أن للنشأة اللغوية في هذا الأمر ما بعدها، وأن أكبر الشأن في اكتساب المنطق واللغة، للطبيعة والمخالطة والمحاكاة، ثم ما يكون من سمو الفطرة وقوتها فإنما هذه سبيله؛ يأتي من ورائها وهي الأسباب إليه؛ وقد نشأ النبي - صلى الله عليه وسلم - وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقاً، وأعذبها بياناً، فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، ومتزوجة في بني أسد، ومهاجرته إلى

بني عمرو، وهم الأوس والخزرج من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة؛ ولقد كان في قريش وبني سعد"[١]

ولقد وصف الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كلام الرسول عليه السلام بأتم الصفات وأحسنها يقول الجاحظ عن فصاحته وبلاغته عليه السلام: " وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف. فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته.

وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس، بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم

[١] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ج١ ص١٩٦، مصطفي صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفي: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة -١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م

مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرا.[١]

ويقول الرافعي عن بلاغته عليه السلام: " هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الأحكام كأنها مصنوعة، ولم تكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة، ألفاظ النبوة يعمرها قلب يتصل بجلال خالقها، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه."[٢]

عنوان البحث: الأسرار البلاغية في كتاب النكاح من صحيح البخاري (أحاديث مختارة)

أسباب اختياري للموضوع:

١- شرف البحث لكونه يتناول كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه عليه الصلاة والسلام في كتاب النكاح وبيان بلاغته وفصاحته.

٢- أهميته في إثراء البحث البلاغي؛ لأن حديثه عليه السلام يعد الثاني في التشريع بعد كلامه عز وجل.

٣- إظهار أسرار الجمال ومواطن البلاغة في كلامه عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث التي تحدثت عن النكاح.

---

[١] البيان والتبيين: لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ ج٢ص ١٣.

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفي صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثامنة -١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥ م، ص ١٩٣.

٤- قلة الدراسات البلاغية التي تخدم الأحاديث الشريفة، وكان مصدري هو الذي اعتمدت عليه الأمة وهو (الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بـ (صحيح البخاري) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي – رحمه الله.

٥- أن هذا الموضوع يتناول موضوعا من تبنى عليه الأسرة والمجتمع.

مشكلة البحث: أن هذا البحث لا يصلح فيه التأويلات الشخصية لتعلقه بكلام الرسول -صلى الله عليه وسلم – مما يوجب الدقة المتناهية والتحقق مما كتب.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى عدة أمور منها:

١- خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- إبراز أهم السمات البلاغية في نصوص شريفة ترغب في النكاح.

٣- الاقتداء بالرسول من خلال عرض أحاديث تدعو إلى القيم الإسلامية والمبادئ والمثل العليا المتمثلة في القيم التي أرساها، وما دعا إليه من الهدى.

٤- الكشف عن بلاغته عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديثه عليه الصلاة والسلام.

٥- قراءة أحاديث الرسول قراءة واضحة واعية لتحقيق الوسائل البلاغية.

أهمية البحث:

١- يستمد هذا البحث أهميته من كونه يتناول موضوعًا يرتبط بلغة الحديث الذي هو الأصل الثاني للتشريع من خلال الأحاديث الواردة في باب النكاح.

٢- الكشف عن مظاهر الإعجاز البلاغي من خلال الحديث الشريف.

٣- تسليط الضوء على الأساليب البلاغية من خلال الأحاديث النبوية الشريفة.

٤- حصر الموضوع على صحيح البخاري؛ لأنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

منهجية البحث: سرت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي محاولةً عدم الخروج عنه بقدر الإمكان **ويتلخص فيما يلي**:

أولاً: أقوم بتخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من أمات الكتب الأصيلة في الحديث مبينة درجته.

ثانياً: أقوم بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مبينةً رقم الآية.

ثالثاً: أعرّف الاصطلاحات البلاغية الواردة في البحث، ومعاني الكلمات اللغوية ما أمكن مستعينة بمصادرها الأصيلة.

رابعا: تفسير وتحديد دلالات ومعاني الألفاظ الصعبة الواردة في متن الحديث، وذلك من خلال بعض المعاجم اللغوية، حتى يتسنى معرفة مغزاها.

خامسا: جعلت صحيح البخاري هو الأصل.

فهرست للبحث على النحو التالي:

١ـــــ ثبت المصادر والمراجع.

٢-فهرس الموضوعات التي تضمنها البحث.

خطة البحث: البحث يشتمل على مقدمة وتمهيد وعدة مباحث اشتملت على أبواب كتاب النكاح بمسمياتها عند الإمام البخاري حيث اتبعت تحليل الحديث بلاغيا طبقا لنظمه، وقسمتها إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الأسرار البلاغية في عدة أحاديث منها: الترغيب في النكاح، من لم يستطع منكم الباءة، باب ما يكره من التبتل، باب من هاجر أو عمل خيرا ...إلخ.

المبحث الثاني: الأسرار البلاغية في عدة أحاديث منها: تزويج الصغار من الكبار، نكاح الأبكار، ما يتقى من شؤم المرأة، الشروط التي لا تحل في النكاح، كثرة النساء إلخ.

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية في عدة أحاديث منها: ربائبكم اللاتي في حجوركم، حق إجابة الوليمة والدعوة، المدارة مع النساء، النهي عن الشغار، إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، إلخ.

وخاتمة: تحدثت فيها عن أهم نتائج البحث.

أما المقدمة: فتحتوي على أسباب اختياري للموضوع ـــ أهمية البحث - ومشكلة البحث ـــ وأهدافه ـــ الدراسات السابقة ـــ ومنهجية البحث وخطته.

قال الله تعالي:" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ". [١]

[١] سورة الطور الآية (٢١).

التمهيد

التعريف بالإمام البخاري:

هو "محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله الجعفي الإمام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر، وورد بغداد دفعات، وحدث بها فروى عنه من أهلها، ولد يوم الجمعة لثلاث عشر خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومائتين عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما."[1]

في الإشارة إلى بعض شيوخه والآخذين عنه والمنتمين إليه فمن سمع منه البخاري بمكة أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي وعبد الله بن يزيد المقري وإسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي.

وبالمدينة إبراهيم بن المنذر الحزامي ومطرف بن عبد الله وإبراهيم وآدم بن أبي إياس وأبو اليمان الحكم بن نافع.

اسم الكتاب: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه هو أول مصنف صنف في الصحيح المجرد واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاري ومسلم.

---

[1] تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفي: ٤٦٣هـ) تحقيق د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢/٢٠٠٢م. ج٢ ص ٣٢٢

ما في صحيح البخاري من الأحاديث المسندة سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالأحاديث المكررة وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف حديث.[١]

حفظ تصانيف ابن المبارك وحبب إليه العلم من الصغر وأعانه عليه ذكاؤه المفرط بعد أن سمع الكثير ببلده من محمد بن سلام البيكندي ومحمد بن يوسف البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي وهارون بن الأشعث

منزلة الكتاب:

يبين ابن بطال منزلة صحيح البخاري بين كتب الصحاح قائلًا " وكان من أحسنها تصنيفًا، وأجودها حديثًا، وأعمها نفعًا، وأعوده فائدة، وأحسنها قبولًا، عند الموافق والمخالف، وأجلها موقفا عند الخاصة والعامة."[٢]

ولكتاب صحيح البخاري مكانة عظيمة بين الكتب حيث يقول ابن حجر في وصفه للكتاب قائلًا:

وإن كتاب البخاري الجامع قد أظهر من كنوز مطالبها العالية إبريز البلاغة، وأبرز وحاز قصب السبق في ميدان البراعة وأحرز، وأتى من صحيح الحديث وفقهه بما لم يسبق إليه ولا عرّج أحد عليه، فانفرد بكثرة فرائد فوائده وزوائد عوائده، حتى جزم الراوون بعذوبة موارده، فلذا رجح على غيره من الكتب بعد كتاب الله، وتحرّكت بالثناء عليه الألسن والشفاه، ولطالما خطر في الخاطر المخاطر أن أعلق

---

[١] تهذيب الأسماء واللغات للنووي، الناشر: إدارة الطباعة المنبرية – القاهرة – تصوير دار الكتب العلمية – بيروت. ص ٧١،٧٢.

[٢] شرح صحيح البخارى لابن بطال لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد -السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

ج١ ص ٦.

عليه شرحًا أمزجه فيه مزجًا وأدرجه ضمنه درجًا، أميز فيه الأصل من الشرح بالحمرة والمداد واختلاف الروايات بغيرهما، ليدرك الناظر سريعًا المراد، فيكون باديًا بالصفحة مدركًا باللمحة كاشفًا بعد أسراره لطالبيه، رافع النقاب عن وجوه معانيه."[١]

وينوه بدر الدين العيني بمنزلة الكتاب قائلًا: " اتفق علماء الشرق والغرب على أنه ليس بعد كتاب الله أصح من صحيحي البخاري ومسلم والجمهور يرجح البخاري على مسلم وقد انتحب علمه ولخص ما ارتضاه في هذا الكتاب، وبقي في تهذيبه وانتقائه ست عشر سنة وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة."[٢]

وقد أقيمت شروح كثيرة لهذا الكتاب منها: منار القارئ، والكواكب الدراري، والتوضيح لشرح الجامع الكبير، وإرشاد الساري، وغيرها.

---

[١] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ ج١ ص ٢.

[٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١ ص٥.

تمهيد ؟

عن النكاح:

في اللغة يطلق على الوطء لما فيه من الضم، يقال: تناكحت الأشجار: إذا انضم بعضها إلى بعض وسمي به العقد؛ لأنه سببه. [١]

وشرعا: "عقد يتضمن إباحة استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع.

أدلة مشروعيته: الأصل في مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع فمن القرآن قوله تعالى: " **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مثنى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** "ومن السنة حديث ابن مسعود -رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم – قال يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء. "

ومن الإجماع: أجمع المسلمون على مشروعيته ". [٢]

ومن آدابه: الكناية عنه بلفظ الملامسة والممارسة. كما في قوله تعالى "أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ."[٣]

حكمة مشروعية النكاح : شرع الله_ سبحانه وتعالى_ النكاح لحكم سامية منها : إعفاف الفروج ؛ إذ خلق الله تعالى هذا الإنسان ، وغرز في كيانه الغريزة الجنسية ، فشرع الله تعالى الزواج لإشباع هذه الرغبة لعدم العبث بها .، حصول السكن والأنس بين الزوجين وحصول الراحة والاستقرار " **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ**

---

[١] تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفي: ٣٧٠هـ) المحقق: د/ أحمد عبد الرحمن مخيمر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص ١٦٠

[٢] الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من المؤلفين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة الطبع ١٤٢٤هـ، سورة النساء آية ٣. والحديث من صحيح البخاري.

[٣] سورة النساء آية ٤٣.

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً" ، حفظ الأنساب وترابط القرابة والأرحام بعضها ببعض ، بقاء النسل البشري ، وتكثير عدد المسلمين لإغاظة الكفار بهم ولنشر دين الله ، الحفاظ على الأخلاق من الهبوط والتردي في هاوية الزنا والعلاقات المشبوهة .[١]

[١] الفقه الميسر ج١ ص ٢٩٢، سورة الروم آية ٢١.

المبحث الأول
الأسرار البلاغية في كتاب النكاح

وفيه عدة أحاديث:

- باب الترغيب في النكاح
- باب من لم يستطع منكم الباءة فليصم.
- باب ما يكره من التبتل.
- باب من هاجر أو عمل خيرا لتزويج امرأة فله ما نوى.
- باب تزويج الثيبات.
- باب الأكفاء في الدين.

الحديث الأول

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».[1]

لقد كان الصحابة أحرص الناس على الخير، وكانوا يلتزمون هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقتدون به، وكانوا يرون توسطه واعتداله في العبادات.ولكن ثلاثة من الصحابة قالوا في أنفسهم لعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يستكثر من العبادات أمام الناس رأفة بهم وشفقة عليهم، ولا بد أنَّ له شأنٌ آخر في بيوته حين تغيب عنه الأنظار، فتوجهوا إلى بيوت نسائه أمهات المؤمنين، فسألوهن عن عبادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في السرِّ حين لا يطلع عليه الناس، فتحدثت أمهات المؤمنين بما يعلمْنَه من حال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنهن مأمورات بذكر ما يتلى في بيوتهن من كتاب الله

[1] صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ج٧ ص ٢ رقم الحديث ٥٠٦٣

والحكمة. فلما سمعوا منهن خبر عبادته عندهن وقع في قلوبهم أنها أقل مما تصوَّروه، ثم سرعان ما وجدوا تأويلاً لذلك، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – مغفورٌ ذنْبُه، أما هم فيَغْلِبُهُم الخوفُ على مصيرهم، فتعاقدوا على الزيادة في العبادة والانقطاع عن الدنيا، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل دائمًا دون انقطاع، وقال آخر: أما أنا فأواصل الصيام طوال عمري يومًا بعد يوم، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا وأبقى متبتِّلاً ما حيِيت. فجاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وعلم الأمر الذي بيَّتوه، فغضِب غضبًا شديدًا، وقال لهم" :أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء"، يعني بذلك – صلى الله عليه وسلم – أنه بلغ درجة الكمال في الخوف من الله واتقاء عذابه، وهذا الخوف من الله لم يمنعه من أن يتنعم بما أباحه الله تعالى لعباده من الطيبات، ثم قال – صلى الله عليه وسلم – متوعدًا المخالف لهديه" :فمن رغب عن سنتي فليس مني"، أي: فمن مال عن طريقتي وأعرض عنها فليس مني، أي فليس بمسلم، وذلك إن كان ميلُه عنها كُرهًا وبغضًا لها، وأما إن كان ميلُه عنها لغير كره لها - فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمْحة التي لا تشدد فيها ولا عَنَت.[١]

عبر عليه السلام بصيغة الاستفهام في قوله:" أنتم " بحذف ألف الاستفهام التقريري والتقدير: أأنتم وليس المقصود من الاستفهام حقيقته ولكن خرج إلى معنى آخر تدل عليه قرائن الأحوال " لأن الرسول قد سألهم عنه، وما تقالوه من

[١] موقع إسلام ويب
https://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=171519

عبادتهم، لكن المراد نفي ما قالوه، ورفض ما فهموه من تعاليم الإسلام، وإنكار ما سيفعلون من التشدد في العبادة.

وقيل الكلام على الأسلوب الخبري الذي يحمل ويتضمن في طياته معنى التقرير، وكأنه عليه السلام يريد أن يقرهم ويعلم منهم بهذا الكلام وهو عليه السلام يعلم ذلك وهذا الأسلوب يسمى لازم الفائدة لأنه يريد أن يعلمهم بأنه عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية "أن يكون المخاطب عالما بالحكم قبل الإخبار به فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها، لامتناع تحصيل الحاصل."[١]

وأرى أن المعنى على الاستفهام التقريري لأنه كان يعلم ذلك وأراد أن يستفهم منهم على ما فعلوه، ولعل السر في جمال هذا الأسلوب والعدول إليه عن أسلوب النفي هو " أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير، ويقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكر وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، وهو أفضل من النفي. "[٢]

والغرض من الاستفهام التقريري إلزام المخاطب بالحجة، وانتزاع الاعتراف منه بما يريد المتكلم، وفي ذلك غرض نفسي، وذلك لأن البيان والبلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس.[٣]

---

[١] بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ج١ ص ٣٤.

[٢] من بلاغة القرآن؛ أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: نهضة مصر -القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥ص ١٢٦

[٣] الكوكب الوهاج في شرح صحيح مسلم (المسمَّى:)الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار

وعبر عليه السلام بصيغة الجمع " أنتم " ولم يذكر أسماءهم وكان على علم بأسمائهم؛ لأنه قد استدعاهم ليوضح لهم ويعلمهم أمور دينهم.

ونلاحظ أن النبي دحض تلك المقالة، ولم يؤخر البيان إبانة، وهذا من مهمات الداعية وأنه لرأى شيئا ورأى منكرًا؛ فإنه لا يؤخر البيان إذا كان عنده علم به وبأدلته بل يقوله ويتقي الله عز وجل "وعدل عن مواجهة هؤلاء بالعتاب وكانوا معينين وكانوا عنده لكنه فعل ذلك لغلبة الحياء عليه، ولتلطفه في التأدب ولستر المعاتب، وتنزه هؤلاء عما ترخص فيه صلى الله عليه وسلم أوقعهم فيه ظن أن المغفور له يسامح في بعض الأمور ويسقط عنه بعض التكاليف والأمر بالعكس."[1]

وفي التعبير باسم الموصول "الذين" ما يدل على تنبيه المخاطب على خطئه حيث أراد عليه السلام أن يبين لهم تعاليم الإسلام السمحة فإن الدين يسر لا عسر وعاون على فهم المعنى الفعل الماضي في قوله عليه السلام " قلتم " لما يدل على الإقرار وأخذ الحجة عليهم.

والتعبير بقوله: "**كذا وكذا** " كناية عن الكلام السابق ولم يكرر الأفعال التي ذكرها هؤلاء الصحابة؛ لأنه قد أنكرها عليهم ولم يعتني بها ولم يعدها مرة ثانية وفي هذا من الاختصار والإيجاز ما فيه، والإمام

برابطة العالم الإسلامي -مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج -دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م ج٣ ص ٢٢٨.

[1] البلاغة فنونها وأفنانها " علم المعاني " للدكتور فضل عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤١٧هـ١٩٩٧م، ص ١٩٣.

عبد القاهر" يضع الكناية في مرتبة أرفع من الإفصاح معللًا بذلك بأن " إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ".[١]

وهذه الكناية تتضمن في فحواها ما أراد الرسول عليه السلام أن يعلمه للصحابة واسم الإشارة في قوله: " **كذا وكذا** " أفاد الإيجاز، وتفادى التكرار فاسم الإشارة هنا طوى عددًا كبيرًا من مناسك الحج التي أشار إليها الشاعر فيما سبق منذ أول الكلام إلى الآن، وهيأ الكلام لوصف ذلك الحج، وما يشمله من تنبيهات.

وآثر عليه السلام التعبير بصيغة " **أما** " لينبه المخاطب إلى ما سيأتي بعده وفيه إشارة "أنه لم ينكر عليهم من الأمر الجلل، وتنبيههم إلى فظاعة قرارهم، وغلظة ما فرضوا على أنفسهم مما لا يطيقون من التي أوحى بها حرف التنبيه والاستفهام، في نسق أسلوبي ونظم بلاغي، وأكد هذه القيم بلفظ الجلالة، وما أعظمه.[٢]

وقد استخدم عليه السلام في حواره أسلوب القسم بأداتين وهي" **الواو** " و" لفظ الجلالة " **الله** " وكأنه عليه السلام يهدف من هذا الحوار غرس القيم الإسلامية في نفوس المسلمين وجلب المحبة بين الصحابة، وبث المبادئ السامية حتى يعلموا بعضهم البعض ويعيشوا في حياة يعمها الوئام والسلام.

---

[١] دلائل الإعجاز في علم المعاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفي: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة -دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ص ٧٠.

[٢] أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه لسامي عطا حسن، جامعة آل البيت المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية

فصيغة القسم " طريقة من طرق توكيد الكلام وإبرازه معانيه على النحو الذي يريده المتكلم ويؤتى به لدفع إنكار المنكرين. [١]

ثم يأتي الأسلوب الخبري في قوله عليه السلام: **إني لأخشاكم** " بـ " **إن واللام** " ويتعانق الأسلوب الخبري وأسلوب القسم لإفادة معنى عظيم ألا وهو أنه عليه السلام وهو المغفور له أخشى الناس وأتقاهم ولكنه لا يريد لهم أن تحمل أنفسهم ما لا يستطيعون فعله، ويريد التخفيف عليهم من هذه الأعباء التي حملوها على أنفسهم؛ لأن التشديد في العبادة يورث الملل، وقد لا يستطيعون المداومة على ذلك.

ووصل بين الجملتين بـ " **أخشاكم** " و" **أتقاكم** " لاتفاق الجملتين في الخبرية، حيث أن الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى والجملة الثانية خبرية لفظا ومعنى، ولوجود المناسبة بين الجمل، ولهذا التناسب الواضح والربط الوثيق بين تلك الجمل حسن الوصل والربط بينهما بواو العطف " فإن من شأن التناسب أن يزيد الوصل حسنًا ويضفي عليه جمالا وبهاء "

وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاوته، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤما، كانت الواو أكثر تمكنا وأحكم إصابة."[٢]

ثم تتوارد الجمل الخبرية في قوله عليه السلام : " لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، والعطف بين هذه الجمل بصيغة الفعل المضارع لاستحضار الصورة وتماثلها أمام الأعين ، والعطف بين هذه الجمل لوجود المناسبة

---

[١] المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح لاشين، القاهرة: دار الفكر العربي طبعة: ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م ص ٢٣٢.

[٢] دلالات التراكيب دراسة بلاغية للدكتور محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م ص ٢٨٥.

بين هذه الأفعال وهي التضاد بين الأفعال كالصيام والفطر والصلاة والرقود وتزوج النساء، يقول الإمام عبد القاهر : " وإذا وقع الفعلان مثل هذا في الصلة ، ازداد الاشتباك ، والاقتران ، حتى لا يتصور تقدير أفراد في أحدهما عن الآخر ، وذلك في مثل قولك : العجب من أني أحسنت وأسأت ، ويكفيك ما قلت وسمعت ، و أيحسن أن تنهي عن شيء وتأتي مثله ، وذلك أنه لا يشتبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم واحد .[١]

ويظهر التناقض فتعظيم خشية الله بكثرة الطاعات يتناقض مع شدة خوف الله تعظم بنوع الطاعة لا بكثرة عددها وهو إدراك بمسألة المخالفة والمعارضة والتناقض الذي يبنى عليه الرابط الحجاجي " **لكن** " وفي هذا يقول إن إخباره بشدة الخوف وعظم الخشية، عظم بالنوع لا بكثرة العدد أي إذا صدر منه الخوف، ولو في زمن فرد كان أشد من خوف غيره.

وإني لأخشاكم وأتقاكم له، لما جمع الله له اليقين مع المعرفة القلبية واستحضار لعظمة الإلهية ما لم يجتمع لأحد سواه، وأراد ما بني عليه القوم أمرهم حيث أعلمهم أنه مع كونه بالغا في الخشية أعلاها لم يفعل ما أرادوا فعله.

والخشية: "خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك من علم بما يخشى منه فالخاء والشين والياء تدل في تقالبيها على العظمة نحو: شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فيه نكتة لطيفة، لأنه وصف الملائكة، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظا شدادا فهم بين

[١] دلائل الإعجاز ص ١٤٨.

يديه تعالى ضعفاء، ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة فجمع بين الأمرين، ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتج إلى التنبيه عليه. " [١]

أما " التقوى، الاحتراز بطاعة الله عن عفويته وقد يراد الإخلاص، وفي الاتقاء معنى الاحتراس مما يخاف وليس ذلك في الخشية أن يجعل العبد امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه."[٢]

وقد تناسقت جملة الشرط وجواب الشرط في قوله عليه السلام:" فمن رغب عن سنتي فليس مني " للدلالة على أن الابتعاد عن سنة رسوله شيء مكروه فبالابتعاد عن سنته ابتعاد عما جاء به من تشريعات ونظم، وقد يخرجه عن الملة.

وعاون على فهم هذا المعنى اسم الموصول "**من** " التي تدل على العموم والشمول، والتعبير بصيغة المضي- التي تدل على تحقق الجواب لتحقق الشرط وتأكيد وقوعه، وناسبت هذه الأفعال وتحققها ما أراد النبي عليه السلام تبليغه لأمته فقد امتزج الشرط بالجواب امتزاجًا شديدًا وتلاحقًا فقد تبع الجواب فعل الشرط بحرف العطف " الواو ".

ويأتي الوصل بين الجملتين ليشعر بالتناسب بين هذه الأفعال ولاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى " فالواو تقتضي- المغايرة والمناسبة، ومقتضى- المغايرة ألا

---

[١] معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفي: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢ه

[٢] التعريفات الفقهية المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٦٠. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفي / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة ج٢ ص ١٠٥٢، الفروق اللغوية ص ١٤.

تدخل بين الشيء ونفسه، وإذا فعلت ذلك أوهمت أنهما متغايران، ومقتضى المناسبة ألا تدخلها بين المتباينين تمام المباينة، فلا تجمع بين الضب والنون.[١]

وفي التعبير بـ " **أصلي** " ما يشعر بأداء حق العبودية، وفي الرقود ما يفيد أداء حق النفس.

و" **من** " في قوله:" **من سنتي** " اتصالية أي ليس متصلا بي ليسمي قريبًا مني.

وفي إضافة "**السنة** " إلى " **ياء المتكلم** " ما يشعر بشرف السنة وتعظيمها، لأنها من عند رسول الأمة، والمقصود بالسنة الأوامر والنواهي التي أتى بها المصطفي عليه السلام.

والتعبير بقوله: "**فليس مني** " فيه إشارة إلى إعراضهم عنه بعدم اتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه

وفي إضافة " **ياء المتكلم** " إليه عليه الصلاة والسلام ما ينوه بالإعراض عنه لاستخفافهم بسنته.

وقد جمع الحديث الشريف بين الأساليب الخبرية والإنشائية والشرطية.

---

[١] دلالات التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى ص ٢٩٤.

الحديث الثاني

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَارَةُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ، وَالأَسْوَدِ عَلَى عَبْدِ اللهِ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».[1]

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الواجب المبادرة بالزواج على الشباب إذا قدروا، فإن عجزوا شرع لهم الصوم، واتخاذ أسباب السلامة، فالصوم يضيق مجاري الدم، ومجاري الشيطان، فيضعف سلطان الشهوة، ولكن متى استطاع الزواج فليبادر، ولو بالاستدانة والقرض.[2]

وتبرز معاني الحديث الشريف في اختياره لأسلوب النداء في قوله: " يا " نداء بحرف النداء للتنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب؛ لأن النداء يسترعي إسماع المنادين، وافتتاح الخطاب بالنداء؛ للاهتمام بما سيلقى إلى المخاطبين، واسترعاء السمع، للحث على المسارعة والتحفيز للزواج.

---

[1] صحيح البخاري لأبي محمد إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢.رقم الحديث :٥٠٦٦، ج٣ ص ٧.

[2] الإفهام في شرح عمدة الأحكام، تأليف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) حققه وخرج أحاديث: د/ سعيد بن علي بن وهب القحطاني. الناشر: توزيع مؤسسة الجريسي. ص ٦٠٦.

"يَـا "حرف نِدَاء وتنبيه وَكَذَلِكَ أيا وهيا وَأي هَذِه حُرُوف نِدَاء وَقـد تجْـرِي الْهمزَة مجْرَاهَا كَقَوْلِك أَزِيد وَأَنت تُرِيدُ يَا زيد."[1]

قيل إنما نودي البعيد بالأدوات الآتية المشتملة على حرف المد؛ لأن البعيد يحتاج في ندائه إلى مد الصوت ليسمع، تدخل في كل نداء" ولا يقدر عنـد الحـذف سواها. قوله: "في الله تعالى" أي: لفظ الله تعالى مدلوله عـن كل مـا لا يليـق، وكمـا تتعين في لفظ الجلالة تتعين في المسـتغاث وأيهـا وأيتهـا؛ لأن الأربعـة لـم يسـمع نداؤها إلا بيا لا لبعدها حقيقة أو تنزيلًا؛ لأنه غير لازم. "على أن نداء القريب بما للبعيد" أي: في غير صورة تنزيله منزلة البعيد بقرينة قوله: يجـوز توكيـدًا إذ عنـد التنزيل المذكور لا تأكيد فتلخص أنـه يجـوز نـداء القريـب بمـا للبعيـد للتوكيـد وللتنزيل، والمراد توكيد النداء إيذانًا بأن الأمر الذي يتلوه مهم جدا.[2]

وفي إضافة " **معشر** " إلى " **الشباب** " ما يفيد الاتحاد والعشرة بين المسلمين، وهم الذين يجمعهم أمر واحد وفي الإضـافة مـا يفيـد الاختصـار والاسـتغناء عـن تفصيل متعذر، وكأن الخطاب عام يخص كل الشباب ولم يوجهه إلى شخص بعينـه، ولكل من وجدت في نفسه القدرة على النكاح، ويتجلى في الحديث الشريف حـرص الرسول على الشباب خاصة؛ لأنهم هم الذين يعتمـد علـيهم ويتـأتى مـنهم العمـل وفلاح الأمة.

---

[1] حروف المعاني والصفات: لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النها وندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ) المحقق: علي توفيق الحمد، الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م، ١٧.

[2] حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م، ص ١٩٨،١٩٩.

وخص " **الشباب** " بالذكر دون " الشيوخ " لأنهم هم الذين يحتاجون إلى ما وجههم إليه؛ لأن الغالب هو قوة الداعي منهم إلى النكاح دون غيرهم؛ ولأن الغريزة فيهم أقوى.

وترجع بلاغة الحديث النبوي إلى اختيار الكلمات التي تؤذن بدقة وشمول فقد جاء الخطاب مصدرا باسم الشرط " **من** " في الحديث معنى العموم لأن الخطاب موجه إلى جميع المسلمين ذكرا كان أو أنثى، والتعبير بلفظ " **من** " فهي تفيد التكليف حيث أنها موضوعة للعقلاء البالغين حوى تحته أسماء كثيرة لإبهامه ولا يستخدم إلا مع العقلاء وكأنه عليه السلام يشير إلى أن هناك أمر مهم لا بد من الإسراع إليه والمبادرة بفعله، وتلبية الاستجابة لهذا الأمر.

وذلك لإن النفس إذا وقعت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوقت إلى كماله، فلو وقعت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوق أصلا؛ لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه، فلا شوق لها هناك، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض، فإن القدر المعلوم يحدث شوقًا إلى ما ليس بمعلوم.

ويأتي أسلوب الشرط في قوله عليه: "**من استطاع** " بصيغة الماضي ليدل على تحقق الوقوع وتأكيد الأمر ورسوخه مما يحدث التوزان والتآلف بين جملتي فعل الشرط والجواب ليثبر انتباه القارئ ويؤذن باختيار ودقة الكلمات، ويوقظ إحساس الإنسان ومشاعره حتى تستقر معاني الحديث في النفس ويأتي جواب الشرط ملاحقًا وملازمًا له في قوله:" **فليتزوج** " حيث أن أداة الشرط تستوجب فعلا للشرط وجوابًا له.

وفي التعبير بلفظ" **منكم** " إشارة إلى ما يدور الحديث عنهم وهم الشباب.

ولفظ "الباءة "[١] إنما سمي به لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يتمكن منها كما يتبوأ من داره"[٢]

وقد حمل النووي لفظ " الباءة " في الحديث الشريف على وجهين:

"**الأول**: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع؛ لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته، ويقطع شر منيه، كما يقطع الوجاء ووقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها غالبًا.

الثاني: أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح، سميت باسم ما يلازمها وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطعها فليصم، ليدفع شهوته، وهذان الوجهان يرجعان إلى معنى واحد، إذ لا مانع من الحمل على المعنى الأعم بأن يراد بالباءة القدرة على الوطء، ومؤن التزويج. "[٣]

---

[١] الباءة: النكاح والتزويج ويقال فلان حريص على الباءة أي على النكاح ويقال: الجماع نفسه باءة، والأصل في الباءة المنزل ثم قيل لعقد التزويج باءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر -بيروت الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ، ج١ ص ٣٦.

[٢] تاج العروس الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين -بيروت الطبعة: الرابعة ج١ ص ١٥٣.

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج٩ ص ١٠٨.

وسمي " النكاح " بـ " **الباءة** " لأنه يهيئ للنكاح منزلًا، فأطلق اسم المنزل على ما هو سبب تهيئة المنزل على سبيل المجاز المرسل والعلاقة الملازمة فسميت باسم ما يلازمها.

وقد جاء التعبير بجواب الشرط في قوله: " **فليتزوج** " وقد جمع الشرط والجواب مع النداء لما في هذا الخطاب من التوجيهات النبوية التي أراد عليه السلام أن يوضحها للأمة، ودقته عليه السلام في اختيار الألفاظ، وجاء الشرط ملازما للجواب ليربطه به ويعلق الشرط على الجواب، والتعبير بقوله: "فليتزوج "يفيض روعة ودقة حيث جاء الجواب مقترنا بالفاء واللام.

ومن روابط الجمل في الحديث التي أحدثت لونًا من التماسك وتقوية أواصر التركيب " الفاء " أفادت الترتيب والتعقيب والسرعة في انقضاء الحدث واللام في "**فليتزوج** " للأمر والمقصود بصيغة الأمر الإرشاد والحث على الزواج.

وقد تعانق أسلوب الشرط مع أسلوب شرط آخر في قوله عليه السلام: " **ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** " [1] فقد جاء جواب الشرط مقترنًا بالفاء التي لا تعطي فرصة للتأخير أو التردد، بل توحي بسرعة الفعل على وجه السرعة بدون تراخ أو منح مدة زمنية تتيح التفكير والتمهل.

ثم جاء الشرط الثاني فيظهر الضد بإزاء الضد ليحدث تقابلًا بين الجملتين فقد قابل بين المعنيين من استطاع الزواج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، وهذا مما له الأثر الشديد في إبراز مظاهر الجمال في الحديث النبوي فتتضح

---

[1] وجأ التيس وجأ ووجاء، فهو موجوء، ووجئ: إذا دق عروق خصيتيه بين حجرين من غير أن يخرجهما، وقيل هو أن يرضهما. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م ج٧ ص ٥٧٦

صورة المقابلة واضحة بارزة، " وبلاغة المقابلة تكمن في أنها سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض " فلما كان الغرض من الحديث بيان أن من استطاع الزواج وقادر عليه فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم " كانت المقابلة أتم في أداء هذا المعنى، وأوفي في الغرض.

وحذف المفعول في قوله عليه السلام: " **ومن لم يستطع** " لدلالة ما قبله عليه لأنه مفهوم من السياق السابق، والتقدير: ومن لم يستطع الباءة، والإيجاز الذي فهم من حذف المفعول.

"وحسن قوله: " **فعليه بالصوم** " لتقدم الخطاب في أول الحديث عليكم بالباءة كأنه قال من لم يستطع منكم فالغائب في الحديث في معنى المخاطب."[١]

و" **الباء** " في قوله: " **بالصوم** " زائدة جيء بها لتأكيد المعنى.

والضمير في " **إنه** " عائد على الصوم وشبه الصوم بالوجاء؛ لأن الصوم لما كان مؤثرًا في ضعف شهوة النكاح شبه بالوجاء؛ ولأن الوجاء قطع الفعل وقطع الشهوة إعدام.

وعدل عن قوله:" فعليه بالجوع " إلى قوله: فعليه بالصوم "؛ لأن المطلوب من الصوم في الأصل كسر الشهوة، وقلة ما يثير الشهوة ويستدعي طغيان الماء من الطعام والشراب إلى ذكر الصوم إذا ما جاء لتحصيل عباده هي برأسها مطلوبة.[٢]

وقوله: " فعليه بالصوم " قيل ليست للغائب وإنما هي لمن خصه من الحاضرين بعدم الاستطاعة، إذ لا يصح خطابه بكاف المخاطب، لأنه لم يتعين منهم، ولإبهامه بلفظة " من " وإن كان حاضرا.[٣]

---

[١] حاشية السندي على سنن النسائي لنور الدين السندي الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ه ١٩٨٦م ج٤ ص ٧١.

[٢] فتح الباري ج٩ ص ١٠٨

[٣] شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ للقاضي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م ج٤ ص ٥٢٦.

وقيل هو إغراء لغائب ولا تكاد العرب تغري إلا لشاهد تقول عليك زيدا، ولا تقول عليه زيدا، وأجيب بأن الخطاب للحارين الذين خاطبهم أولا بقوله: فمن استطاع منكم فـ" الهاء" في "عليه " ليست لغائب بل هي للحاضر المبهم إذ لا يصح خطابه بالكاف.[١]

وعبر القاضي عياض بأن الاستطاعتين مختلفتين قائلًا: " لا يبعد أن يكون الاستطاعتان مختلفتين، فيكون المراد أولا بقوله: من استطاع منكم الباءة الجماع أي من بلغه وقدر عليه فليتزوج، ويكون قوله: ومن لم يستطع يعني على الزواج المذكور فمن هو بالصفة المتقدمة فليصم.[٢]

ويأتي دور التوكيد الذي اعتمد عليه الخطاب في قوله عليه السلام:" **فإنه له وجاء** " فالتوكيد بـ"**إن واسمية الجملة** " ليوضح بجلاء أهمية عدم تحقق الزواج، فإن الصوم سيكون له وقاية من الوقوع في المعاصي.

ومن روابط الجمل في الحديث الشريف " **الفاء** " التي أحدثت لونًا من التماسك بين جملة الشرط وجملة الجواب في قوله: **فعليه بالصوم** " ثم ذكر سبب الصوم في عدم الزواج، وكذلك الضمير في (فإنه) الذي يربط الجملة بسابقتها؛ وهي إحدى وسائل السبك التي يتقوى بها التركيب ترابطًا واتصالًا والتحامًا، فالتعبير بالجملة الاسمية يفيد التأكيد والثبوت.

---

[١] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٣ ص ٣٥٥.

[٢] ذخيرة العقبى فيشرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر [جـ١ -٥] -دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ٦ -٤٠] جـ(١٣ -٤٠) / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ج ٢١ ص ١٧ .

"وإنما جعل " **الصوم** " وجاء؛ لأنه بتقليل الطعام والشراب يحصل للنفس انكسار عن الشهوة، ولسر جعله الله تعالى في الصوم فلا ينفع تقليل الطعام وحده من دون الصوم."[١]

وتفسير الوجاء بأنه مأخوذ من قولهم: كبش موجوء إذا وجئت خصيتاه حتى انفضحتا وهو ضرب من الخصاء، أقرب إلى معنى الحديث؛ لأن الوجاء رض الخصيتين، والإخصاء سلهما فإطلاق الوجاء على الصوم من ضروب المجاز لأن كلا منهما مذهب لدواعيه الغشيان.[٢]

وقدم "**النكاح** " على " **الصوم** " لأن الطبائع تميل إلى الولد والذرية يقول عليه السلام: تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة.

وتدخل (**إن**) في الكلام ففضلًا عن تأكيدها لمعنى الجملة، تربط ما بعدها بما قبلها، يقول عبد القاهر:" ترى الجملة إذا دخلت (إن)، تربط بما قبلها، وتأتلف معه، وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر – وإذا جئت إلى (إن) فأسقطتها، رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول، وتجافي معناه عن معناه ورأيته لا يتصل.[٣]

---

[١] سبل السلام المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) الناشر: دار الحديث الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ ج ٢ص ١٦٠.

[٢] الفائق في غريب الحديث والأثر: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار المعرفة -لبنان الطبعة: الثانية رقم ٤٦٣٩.

[٣] دلائل الإعجاز ص ٢٠٧.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي العَنَتَ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ». (١)

في هذا الحديث يخبرنا أبو هريرة بأنه لما شعر بضيق حاله، وأنه قد لا يستطيع تحمل تكاليف الزواج أتى النبي، وشرح له حالته، وأنه رجل شاب، ويخاف على نفسه من الوقوع في الزنا، ولا يستطيع النفقة على زوجة وكرر هذه الكلام ثلاث مرات، فقال له النبي قد نفد المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ فبقي القلم الذي كتب به جافا لا مداد فيه، لفراغ ما كتب به فلا خروج عن القدر بحال، وإذا كان الأمر كذلك فافعل الخصاء إن شئت أو ذره؛ فإن ذلك لا يغير من قدر الله تعالى.

نلاحظ الحوار النبوي بين النبي عليه السلام وبين الصحابي الجليل أبي هريرة وقد قصد عليه السلام بالنداء قصد الإظهار الحرص على إقبال المدعو.

ويكتسب الحوار أهميته من كونه وسيلة للتآلف والتعاون، وبديلًا عن سوء الفهم والتقوقع والفرقة والصراع، وبذلك يصبح الحوار ضرورة طالما تفاعل الناس وتدافعوا، واختلفت انتماءاتهم ومصالحهم، وأفكارهم ومشاعرهم تجاه الأشياء والأشخاص من حولهم.(٢)

(١) صحيح البخاري ج٧ ص ٤ رقم ال حديث٥٠٧٦.

(٢) الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، للدكتورة منى إبراهيم اللبودي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣ م مكتبة وهبة بالقاهرة ص ٢٠.

بدأ الحديث بالنداء لشد الانتباه بم سيخبر به، ولعظم ما يحدث أبو هريرة، ولكي تعم النصيحة، وفيه تشويق للمتلقي وكأن في إثارة النداء ما يجعل الباحث يبحث عما وراء الأسلوب للوصول إلى المعنى الجوهري واستعمل أداة النداء " **يا**" لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا، وقد ينادى بها لقريب توكيدًا وهي أكثر حروف النداء استعمالا، ولا ينادى اسم الله والاسم المستغاث وأيتها إلا بها."[١]

والتعريف بالكنية في قوله عليه السلام:" **يا أبا هريرة** " تلذذا بذكره وليثير في نفسه كل ذكرى طيبة " ويبرز هذا الاسم في الوجود ويخلده في الأذهان وإن كان قد طوى من الحياة إلا أنه مذكور في العقول دائمًا وخلد في الأذهان أبدا."[٢]

وتأتي الكناية البليغة في قوله عليه السلام: " **جف القلم** " وهي من أبلغ الصور الأدبية في الإمتاع والإقناع والتأثير أي نفذ المقدور بما كتب عليك في اللوح المحفوظ والأمر قد حسم، فعليه أن يحتمل مشقة البعد عن النساء حتى تتحقق مشيئة الله تعالى وما قدره جل وعلا لأبي هريرة.

قال التورشتني: "جفاف القلم كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها؛ لأن الفروغ بعد الشروع بعد يستلزم جفاف القلم عن مداده فأطلق اللازم على الملزوم فالكناية في الحديث الشريف تمثل لونا من ألوان التصوير الذي يثري اللغة بالتوسع في معانيها والتفنن في ألفاظها، كما أنها تمثل ضرورة اجتماعية ودينية لطابعها التهذيبي الفاعل في توجيه السلوك الإنساني.[٣]

---

[١] القاموس المحيط للفيروز بادي، دار الجيل، بيروت لبنان-باب الألف اللينة ج٤ ص ٤١٠.

[٢] علم المعاني د. بسيوني فيود بتصرف، مؤسسة دار المختار – دار المعالم الثقافية، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م ج١ ص ٩٤.

[٣] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج١ ص ١٦١.

والفعلين" **اختص** " و" **وذر** " نطق يفصح بالوعيد والتهديد ليكون ذلك زاجرًا له ولغيره من بعده، وليس إذنًا في الاختصاء بل توبيخ ولوم على الاستئذان في قطع عضو بلا فائدة. وقال ابن بطال في شرح البخاري: يحتمل أن يكون هذا التخيير ليس من الله، لأن الله لا يخير رسوله بين أمرين وعليه في أحدهما إثم، فمعنى هذا الحديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بين أن يختار لهم الأمرين، ما لم يكن عليهم في الأمر إثم، لأن العباد غير معصومين من ارتكاب الإثم ".[1]

و" **أو** " للتخيير أي: فإن شئت فاختص، وإن شئت فاترك وليس هذا إذنا في الاختصاء، بل لوم على الاستئذان في قطع عضو بلا فائدة.

[1] شرح البخاري لابن بطال ج٧ ص ١٧٠.

الحديث الرابع

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ [ص:٤] مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحَارِثِ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَمَلُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».[1]

هذا الحديث من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، روي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه وقال جماعة من العلماء: هذا الحديث ثلث الإسلام.[2]

فأعمال الإنسان نابعة من نواياه فالناس يختلفون في نواياهم وطبائعهم، ويكون الجزاء من جنس العمل، فمن أراد بهجرته الهجرة الشرعية لخدمة دينه وتعاليم نبيه عليه السلام، فهجرته إلى الله ورسوله فهذه الهجرة لغرض ديني، ومن كانت هجرته لغرض دنيوي فليس له ثواب وإنما هجرته لغرضه الذي نواه.

بدأ الحديث الشريف بقصر العمل على النية وكأن كل عمل مقصور على نية الإنسان، وتفيد الجملة الخبرية أن كل عمل له نية، فهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيًا تحقيقيًا؛ لأنه في الحقيقة لا يكون عمل بغير نية فالإنسان لا يقدم أي عمل إلا إذا كانت هناك نية قد أضمرها في نفسه من قبل، وكأن المراد

---

[1] صحيح البخاري ج٢ ص ٧ رقم الحديث ٥٠٧٠.

[2] شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لتقي الدين أبو الفتح محمد بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هـ)، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م

كل عمل تكون وراءه نية تدفع صاحبه لفعله، والحصر يفيد هنا توضيح المعنى وتأكيده فضلا عن الإيجاز فالإنسان يؤجر على عمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. ولأهمية العمل في حياة الفرد والمجتمع آثر عليه السلام التعبير بـ " **العمل**" عن" **الفعل.** "

وعرف "العمل " بـ " **أل** " لتشمل جميع الأعمال ومن هنا لابد لكل عمل من نية، و" الباء " للسببية.

ولابد من تقدير يتعلق بالجار والمجرور فتعلق الجار والمجرور" **بالنية** " فالذي يشترط النية لأي عمل يقدر

الصحة: صحة العمل بالنية، أو " العمل يصح بالنية.

وقد تواردت الجمل الخبرية في الحديث النبوي لتحقيق غاية عظيمة ألا وهي تحقق الكلام وتأكيده فبدأ الحديث بالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر في " **العمل بالنية** " لتقرير وتأكيد الكلام وثبوته وتقويته.

ثم جاءت الجملة الخبرية في أسلوب القصر بـ " **إنما** " في قوله عليه السلام: " **وإنما لكل امرئ ما نوى**" لتدل على ثبوت الحكم وتأكيده، وتأتي "**إنما**" فيما يعلمه المخاطب، وهذا فيه تأكيد على الحكم وكأنه معلوم للمخاطبين ومن ثم فينبغي عليه الالتزام به. وهذه الجملة تضمنت تكرارًا معنويًا لجملة "**العمل بالنية** " وفي التكرار " تأكيد وتقوية لما يهدف إليه الحديث الشريف، وفي ذلك التناسق الموسيقي والإيقاع المتوازن في التصوير مما يثير الانتباه، ويوقظ الحس والوجدان، ويحرك المشاعر، فتتفتح لقبوله منافذ الإدراك المختلفة في النفس، فتستقر فيها،

وتزداد تصديقا وإيمانا بقيمها السامية. [١] وكذلك يفيد أسلوب الحصر- أنه لا يتعدى عمل العبد ما نواه، وجاءت الجملة مؤكدة بأكثر من مؤكد من " إن " واسمية الجملة "وتكمن بلاغة القصر في أن فيه تقوية للمعنى فضلًا عن الإيجاز والاختصار الذي هو لب البلاغة.

وعطف جملة " **وإنما لكل امرئ ما نوى** " على جملة " **العمل بالنية** " لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظًا ومعنى لوجود المناسبة بين الجملتين وهي أن الجملة الثانية وقعت سببًا للجملة الأولى والعطف يقتضي المغايرة بين الجملتين في المعنى.

وهذا يفيد معنى خاصا غير الأول وهو تعيين العمل بالنية، وفائدة ذكره أن تعيين المنوي شرط فلو كان على إنسان صلاة مقضية لا يكفيه أن ينوي الصلاة الفائتة بل يشترط أن ينوي كونها ظهرًا أو عصرًا أو غيرهما، ولولا اللفظ الثاني لاقتضى الأول لصحة النية بلا تعيين.

وقدم المسند على المسند إليه في قوله عليه السلام: **لكل امرئ ما نوى**" للاختصاص وتعاون مع هذا المعنى صيغة الفعل الماضي " **كانت** " للدلالة على تحقق الحدث ووقوعه.

وقيل إن هذا ليس تكرارًا للمعنى بل تقرير لصحة النية ومرادها وتوجيهها أي: كل عمل فهو بنيته.

وفي إضافة لفظة " **لكل** " وهي تأسيسية إلى " **امرئ** " النكرة ما يفيد العموم، حيث أنها لا تفيد التأكيد في هذا الحديث وإنما تفيد الشمول والعموم.

---

[١] التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ص٧.

وفي تنكير كلمة " **امرئ** " ما يفيد العموم والشمول حيث يشمل الرجل والمرأة معًا فتكون داخلة فيه، ولتذهب النفس في تفسيرها كل مذهب.

وعبر بـ " **ما** " الموصولة؛ لإفادتها معنى العموم والشمول، لأن الإنسان بما كسب رهين فيحاسب على ما يصدر منه من الخير والشر فمن يعمل خيرا يراه ومن يعمل شرا يراه.

وقد اتحدت جملة الشرط والجزاء اتحادًا كاملًا بما فيها من الإيقاع والتناسق وكأنك تسمع الجملة بمضمونها ومعناها مرة أخرى فالجملة الاسمية لها من التأكيد والثبوت ما فيها في قوله عليه السلام: **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله** " مقترنة بالفاء الفصيحة أي إذا كان لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته ...إلخ.

وعبر بلفظة " **من** " التي تفيد العموم في قوله عليه السلام:" **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**" ليشمل أي إنسان كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى جنس ما هاجر إليه قال النووي رحمه الله: " من قصد بهجرته وجه الله، وقع أجره على الله، ومن قصد دنيا أو امرأة فهي حظه، ولا نصيب له في الآخرة بسبب هذه الهجرة."[١]

ولكون الهجرة أعظم ما حدث في تاريخ الإسلام ونشر دعوته عليه السلام بسببها لذا نوه عليه السلام بها

والهجرة المقصود بها هنا هجرة المعاصي والفواحش إلى الطاعات والطيبات " وفي ذلك يرتقي التصوير البلاغي فيجعل من يهجر المعاصي إلى الطاعات، مثل من هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في الثواب والأجر

[١] شرح النووي على مسلم ج١٣ ص ٣٢.

سواء بسواء؛ لأن هذا الجهاد الأكبر الذي أشار إليه الرسول بعد أن رجع من غـزوة في سبيل فقال: هو جهاد النفس بالهجرة من المعاصي إلى الطاعات.[١]

وفي الحديث بيان لشرف الهجرة وفي تكـرارها ما يشـير إلى فضـلها ، ومـن هـذا القبيل تنويه النبي صلى الله عليـه وسـلم بأهميـة الهجـرة في سـبيل الله ، وشرف هـذا المقصد ، قال : **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله** " فوحد بـين فعـل الشرـط وجزائـه في اللفظ ليدل على أنه لا شيء يعبر عنه سوى التعبير عن فضيلته بنفسـه، و لبيـان شرف هذا المقصد وشرف قاصده ، بينما يستعمل الضمير في حديثه عن الهجرة لغير الله تعالى ، فيقول : " **ومن كانت هجرتـه** " ليفيد التكرار حتى كأنه لا يصلح أن يعبر عنـه بشيء سوى نفسه ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ، حطًا لشأنها وتحذيرًا منها ، وتنبيهًـا على ضرورة عدم الوقوع منها "وقد تواردت جملة الشرط الثانية في قوله عليه السلام : " **ومن كانـت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر**".

فاسم الشرط " **من** " يفيـد العمـوم وعاون على هـذا المعـنى التعبـير بصـيغة الماضي "**كانت** " وعطفت الجملة الثانيـة على الجملـة الأولى لاتفاقهمـا في الخبريـة، ووجود مسوغ للوصل بينهما وهو التضاد في المعنى فمن كانت هجرته لدنيا يصـيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وفي قوله: **لدنيـا** " كناية عن المرأة وبلاغة الكناية تكـمن في تحسين المعـنى حيث يضفي عليها جمالا فنيا رائعا تخرج ما في النفس بطريقة فنيـة حيـث تجعـل الكلام مشوقا بخلاف الحقيقة؛ فالانتقال من الشيء المعقول إلى الشيء المحسـوس، والإتيان بالشيء الواحد بأنباء عديدة في صور مختلفة من التجسيد.

[١] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢. ج ١٣ ص ٥٥.

وفي قوله: **فهجرته إلى ما هاجر إليه** " إيجاز بالقصر- بدلًا من أن يعبر بهجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة.

والتعبير بـ " **ما** " في قوله: **إلى ما هاجر إليه** " كناية عن الدنيا والمرأة ثم التعبير بصيغة الماضي

" **هاجر** " ما يفيد تحقق الحدث ووقوعه ولو وضع المضارع في هذا الموضع مكان الماضي لم يفد المعنى الذي أضافته صيغة الماضي.

وقد تعاون التكرار والاستعارة والإيجاز في إفادة المعنى المراد من الحديث فجاءت العبارات متآلفة متناسقة وفي قوله: " **يصيبها** " استعارة حيث شبه الدنيا بالغرض يصاب بالسهام فذكر المشبه، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه (الإصابة) على سبيل الاستعارة المكنية.

أو شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم؛ بجامع سرعة الوصول إلى المقصود فحذف المشبه، وصرح بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وتكمن بلاغة الاستعارة في أنها تعمل على تجسيد المعنى وتقويته وتقريبه إلى الذهن، وتجسيد المعاني المعنوية في صورة حسية، فالاستعارة التي اتكأ عليها في الحديث يتحقق بها الاختصار والإيجاز " ففي هذا التعبير تأكيد للمعنى، وإلباسه ثوب المبالغة مع إبرازه في صورة محسوسة، ثم التعبير عنه بألفاظ موجزة. [١]

وعاون على فهم هذا المعنى التعبير بصيغة المضارع " **يصيبها**"؛ التي تفيد تجدد الحدث واستمراريته، ولو وضع الماضي مكان المضارع لما أفاد هذا المعنى وهو استمرارية الإصابة.

---

[١] القرآن والصورة البيانية د. عبد القادر حسين، دار النشر: عالم الكتب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م ص٢٠٠

وتكرار لفظ الجلالة ولفظ الرسول وإظهارهما، وكان يغني عنها الضمير الذي يعود على ما سبق، لتعظيم الهجرة وتعظيم المهاجر إليه وهو الله ورسوله في قوله: " **فهجرته إلى الله ورسوله** ".

بينما لم يكرر الاسم الظاهر في الهجرة إلى الدنيا أو المرأة ولم يظهرها، بل اكتفى بالضمير العائد عليها في قولها: فهجرته إلى ما هاجر إليه، للتحقير والتهوين من شأن هذه الهجرة لأنها في غير ابتغاء وجه الله عز وجل وفي غير مرضاته وكذلك مع الدنيا.[1]

وفي الحديث ما يشير إلى المقابلة بين الجملتين في قوله عليه السلام : " **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يشيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** " فقد قابل النبي بين الجملتين وتكمن بلاغة المقابلة في أنها سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض، فلما كانت الهجرة لأغراض دينية فكان الثواب والأجر من عند الله ، ولما كانت الهجرة لأغراض دنيوية فكانت النتيجة الحتمية أن تكون العمل جزاء النية فالقصد إلى هذه الهجرة معلوم واضح ، وقد عاونت المقابلة في بيان المعاني فالمقابلة تقوم على علاقة ضدية والضد يظهر حسنه الضد ، وهذا مما يزيد من بلاغتها وأثرها في النفس .

[1] البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفي أمين، دار المعارف ١٩٩٧ص ١٣١.

الحديث الخامس

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا سَيَّارٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَفَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةٍ، فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي، فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَانْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجْوَدِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ الإِبِلِ، فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا يُعْجِلُكَ» قُلْتُ: كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرُسٍ، قَالَ: «أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟»، قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: «فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ»، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، قَالَ: «أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَيْ عِشَاءً - لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ» [1]

دار الحوار بين النبي عليه السلام والصحابي الجليل جابر بن عبد الله، وهذا الحوار يعد وسيلة من وسائل التشويق، ويود عليه السلام من هذا الحوار أن يعلم جابر بن عبد الله أهمية زواج البكر وأفضليتها على الثيب، ولعله يقتنع بالفكرة التي أراد النبي أن يبلغها صحابتها.

استهل الحديث الشريف بالاستفهام في قوله عليه السلام:" **أبكرا أم ثيبا** " والمقصود من الاستفهام التقرير فالاستفهام أسلوب " يدعو فيه الأديب المتلقي لمشاركته في الفكر والعاطفة ولا يحتاج منه إجابة، ويثير الانتباه، ويمتع النفس ويجذب المتلقي إلى الإمعان في مضمون الأسلوب وما وراءه من معنى.

وفي تقديم المفعول على الفعل في قوله : " **أبكرًا أم ثيبًا** " والأصل " **تزوجت بكرًا أم تزوجت ثيبًا** " والمقصود من هذا التقديم رد الخطأ على التعيين " والأصل في المفاعيل والحال والتمييز أن تلي فعلها لأنها تابعة له ، ومتعلقة به ، ولا تتقدمه إلا لغاية فنية وغرض معنوي ، والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستفهم من

[1] صحيح البخاري ج ٧ ص ٥ رقم الحديث ٥٠٧٩.

جابر بن عبد الله هل انعقد زواجه ببكر أم بثيب ، فتقديم المفعول به " **بكرا** " في معرض الاستفهام على الفعل " تزوجت ، أفاد إثباتا للزواج أنه قد تم ، وإثباتا لرغبة الرسول الكريم في أنه يؤثر أن يكون بالبكر دون الثيب وهو مناط التعيين .[١]

وفصل بين جملة "**أبكرًا تزوجت أم ثيبًا** " وبين جملة" **ثيبا** "؛ لأن الجملة الأولى تضمنت سؤالًا أثارته فكانت الجملة الثانية جوابًا عنه والفصل هنا لشبه كمال الاتصال .

وقد أشار عبد القاهر إلى هذا الذي تراه من لفظ " **قال** " مفصولا غير معطوف هدا هو التقدير فيه، وأنه جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقول: فماذا قال؟ ويقول المجيب قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه."[٢]

و" **أم** " في قوله: " **أم ثيبا** " متصلة غير منقطعة؛ لأن استفهام النبي جابر لم يكن إلا بعد علمه بتزوجه إما بكرًا أو ثيبًا، فطلب منه الإعلام بالتعيين كما كان يطلب بأي.[٣]

أن تتقدم عليها همزة يطلب بها وبـ (أم) التعيين، نحو: (أخاك عندك أم محمد؟) أي أيهما عندك؟ والمتكلم يعلم أن واحدا منهما عنده، لا بعينه، ويطلب

---

[١] البلاغة (البيان والمعاني) في كتاب الفائق في غريب الحديث للعلامة الزمخشري (المتوفي ٥٣٨ه) للدكتور نايف عبد الله الغول، الناشر: دار الجنان للنشر والتوزيع طبعة ٢٠١٥م، ص ١٠٦.

[٢] دلائل الإعجاز ص ٢٤٠.

[٣] شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) المحقق: الدكتور طَه مُحسِن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

بسؤاله التعيين وهذا الهمزة بمعنى (أي) ونحو (أضربت أخاك أم زوجته) أي: أي ذلك فعلت؟ فإن كان الأمر على غير دعواه فالجواب في الأولى: ليس عندي واحد منهما، وفي الثانية: لم أفعل واحدا منهما، أو تقول: عندي محمد، أو كلاهما عندي، وفي الثانية: فعلت كليهما.[١]

وفي إيثار الفعل الماضي " **قلت** " للدلالة على تحقق الفعل ووقوعه وأنه قد حدث الزواج، وقد حذف المفعول في قوله: " **ثيبا** " للتعيين والتقدير: تزوجت ثيبا، وفي الحديث " فضيلة لجابر وإيثاره مصلحة أخواته على حظ نفسه وفيه الدعاء وفيه جواز خدمة المرأة زوجه وأولاده وعياله برضاه. "[٢]

و"هلا " بالتشديد: حرف معناه الحث والتحضيض؛ يقال حي هلا الثريد، ومعناه هلم إلى الثريد، فتحت ياؤه لاجتماع الساكنين وبنيت حي وهل اسما واحدا مثل خمسة عشر وسمي به الفعل، ويستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، وإذا وقفت عليه قلت حيهلا، والألف لبيان الحركة كالهاء في قوله كتابيه؛ لأن الألف من مخرج الهاء.[٣]

وتنكير كلمة " **جارية** " للتعظيم من شأنها، والحث على المبادرة من التزويج بالبكر وفي إيثار التعبير بصيغة المضارعة بقوله: **تلاعبها وتلاعبك** " ما يفيد تجدد الفعل واستمراريته وأن الملاعبة بينهما مستمرة مستجدة على الدوام.

---

[١] معاني النحو ج ٣ ص ٢٤.

[٢] شرح النووي ج١٠ ص ٥٤.

[٣] لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر -بيروت الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ ج١١ ص ٧٠٧.

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون أراد بقوله: **تلاعبها** " من اللعاب ويدل عليه ما في بعض طرق مسلم: " فأين أنت من العذارى ولعابها وما جاء في الحديث الآخر: " فإنهن أطيب أفواهًا وأنشق أرحامًا " [١]

وقوله: " **فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك** " تعليل للترغيب في الأبكار سواء كانت الجملة مستأنفة أو وصفه للجارية أي ليكون بينكما كمال التآلف والتآنس فإن الثيب قد تكون معلقة القلب بالسابق. [٢]

ووصل بين جملة " **تلاعبها** " وجملة " **تلاعبك** " لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظًا ومعنى ولوجود مناسبة استدعت الوصل واتفاقهما في المضارعة يقول الإمام عبد القاهر: " الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين، أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك، كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موقع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة واقعة موقع المفرد، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد، وكأن وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا، والإشراك بها في الحكم موجودا. [٣]

ونلاحظ التكرار الذي نلمسه دائما في حديث الرسول عليه السلام ومن فوائد هذا التكرار التأكيد والتوضيح وينوه الخطابي بذلك في قوله:" إنما يحتاج إلى

---

[١] حاشية السندي في سنن ابن ماجة كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ، الناشر: دار الجيل -بيروت، بدون طبعة ج١ ص ٥٧٣.

[٢] إكمال المعلم بفوائد مسلم ج٤ ص ٦٧.

[٣] الدلائل ص ١٤٦.

التكرار، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها". [١]

وفصل بين جملة " **فلما ذهبنا لندخل** " وجملة " أمهلوا " لشبه كمال الاتصال حيث وقعت الجملة الثانية جوابًا أثارته الحملة الأولى سؤالًا فكانت الثانية جوابًا عنه وفي ذلك يقول الخطيب: " أما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. [٢]

وآثر البيان النبوي التعبير بفعل الأمر " **أمهلوا** " للفت الانتباه إلى ما سيأتي بعده.

وفي التعبير بقوله: " **حتى تدخلوا ليلا** " مجاز بالإسناد والعلاقة الزمانية فقد أسند الفعل دخل إلى الليل والتعبير يدل بفحواه على الدخول بالليل له الأفضلية، وقد تآزرت الجمل الخبرية والاستفهامية في البيان النبوي، لإفادة الغرض المقصود من الحديث، وهو أن التزويج بالأبكار أفضل من الثيبات، وأن على الزوجة أن تتهيأ وتتزين لزوجها حتى لا يرى ما يكرهه منها، فضلًا عن الكنايات البليغة التي أحدثت تناسًقا وإمتاعًا وتآلفًا بين الجمل وتنوعت الأغراض البلاغية ما بين التصريح والتلميح مما أحدث انسجامًا.

ثم ذكر علة التمهل ألا وهي:" **تمتشط الشعثة** "وهي كناية عن التهيؤ والتزين لزوجها بامتشاط الشعر وتنظيف البدن بالحلق ونحوه أي تصلح كل امرأة

---

[١] بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة ص ٤٨ والبرهان في علوم القرآن للزركشي: تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (ج ٣ ص ١١

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ج٣ ص ٩٧.

نفسها لزوجها ما غفلت عنه لغيبته، وإنما معنى ذلك: لئلا يجد منها ريحًا أو حالة يكرهها، فيكون ذلك سببًا إلى بغضها؛ فإن قلت: هذا مخالف لقوله: " لا يطرقن أحدكم أهله ليلا قلت: إن هذا قاله لمن يقدم بغتة من غير أن يعلم أهله، وأما هنا فتقدم خبر مجيء الجيش والعلم لوصوله وقت كذا وكذا فتستعد الشعثة وتستحد المغيبة ".[1]

والمراد من ألا يفاجئ الرجل أهله؛ لما ذكر في هذا الحديث من التهيؤ والتزين، فإذا قدم ليلا بعد إعلام ولبث كما كان في مقدمهم هذا، فلا نهي عنه لانتفاء ما هو المقتضى له.

فإن قيل: وتستحد المغيبة، والمغيبة هي الشعثة قلت: تفاديًا عن اللفظ المستهجن، ولما لم يكن لفظ الشعثة مستهجنًا صرح به، وكنى بالمغيبة عن طول شعر عانتها لاستهجانه، ومن ثم عدل عن النتف إلى الاستحداد؛ لأن النساء لا يرون استعمال الحديد ولا يحسن بهن.[2]

وجاء البيان النبوي على طريقة اللف والنشر؛ بغرض تنشيط ذهن المتلقي وإيقاظه، وذلك عن طريق رد كل إلى ما يليق به فقد جعل للشعثة التمشيط وللمغيبة الاستحداد وهذا ما يحقق الترابط والتناسق بين الكلام.

---

[1] شرح النووي على مسلم ص والشعثة شعث: شَعِثَ شَعَثاً وشُعوثَةً، فَهُوَ شَعِثٌ وأَشْعَثُ وشَعْثانُ، وتَشَعَّثَ: تَلَبَّد شعَرُه واغْبَرَّ، وشَعَّثْتُه أَنا تَشْعِيثاً. والشَّعِثُ: المُغْبرُّ الرأْسِ، المُنْتَتِفُ الشَّعَرِ، الحافُّ الَّذِي لَمْ يَدَّهِنْ لسان العرب ج٢ ص ١٦٠

[2] التوضيح لشرح الجامع الصحيح بن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق -سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م ج٢٤ ص ٢١٤.

ونرى التناسق والترابط والانسجام بين الجمل عن طريق الوصل فقد وصل البيان النبوي بين الجملتين " **تمتشط الشعثة** " وجملة و" **تستحد المغيبة** " لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى، ولوجود مناسبة قوية بين الجملتين فتمشيط الشعر وتزيينه ونظافة المرأة بإزالة شعر العانة مما يحث ويحض على النظافة.

ويتجلى في الحديث الشريف الحرص على مكارم الأخلاق، والشفقة على المسلمين، والاحتراز عن تتبع العورات واجتلاب ما يقتضي دوام الصحبة، وليس في الحديث معارضة للأحاديث الصحيحة في النهي عن الطروق ليلا.

الحديث السادس

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تُنْكَحُ المَرْأَةُ [لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ " () [1]

يبين الهدي النبوي أهم الخصال والسمات التي تتزوج من أجلها المرأة، ثم رتبها وجعل المال في المرتبة الأولى ثم الحسب، والشرف، والنسب ثم الجمال يأتي في المرتبة الثالثة، ولكن الأفضل أن يظفر الإنسان بذات الدين. [2]

استهل الحديث الشريف بالفعل الماضي المبني للمجهول في قوله عليه السلام: "**تنكح** " لأن الفاعل معلومٌ وفي إيثار لفظ " **المرأة** " على " **الزوجة** " ما يوحي بالعموم والشمول، ثم إن في إطلاق لفظ المرأة ما يشعر بجنس النساء من لها زوج ومن ليس لها زوج.

---

[1] والحَسَبُ) مُحَرَّكَةً (: مَا تَعُدُّهُ مِن مَفَاخِرِ آبَائِكَ) وإِطْلاَقُه عَلَيْهِ على سَبِيلِ الحَقِيقَةِ، وَقَالَ الأَزهريُّ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَسَاعِي الرَّجُل ومَآثِرُ آبَائِهِ حَسَباً نَّهُمْ كَانُوا إِذا تَفَاخَرُوا عَدَّ الفَاخِرُ مِنْهُم مَنَاقِبَهُ وَمآثِرَ آبَائِهِ وحَسَبَهَا، تاج العروس من جواهر القاموس

المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية. ج٢ ص ٢٦٩

[2] وَتَرِبَ الرَّجُلُ يَتْرَبُ مِنْ بَابِ تَعِبَ افْتَقَرَ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتُّرَابِ فَهُوَ تَرِبٌ وَأَتْرَبَ بِالْأَلِفِ لُغَةٌ فِيهِمَا وَقَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - «تَرِبَتْ يَدَاكَ» هَذِهِ مِنْ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ الْعَرَبِ صُورَتُهَا دُعَاءٌ وَلَا يُرَادُ بِهَا الدُّعَاءُ بَلْ الْمُرَادُ الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ج١ ص ٧٣.

والتكرار بـ "**اللام** " الذي أحدثه البيان النبوي ربط بين أجزاء الكلام حتى صار كاللحمة الواحدة التي لا تنفك فضلًا عن الإيقاع الداخلي والإمتاع وكأن هناك تناسقًا وتلاحمًا شديدًا، وكأنها تعيد الكلمات بنفسها وعلى الرغم من التكرار إلا أنه لم يحدث أدنى تنافر، فتكرار اللام يشعر بأن كل واحدة من هذه الأشياء مستقلة بنفسها وعاون على فهم هذا المعنى العطف الذي يقتضي المغايرة.

وفي تنكير كلمة " **أربع** " ما يشعر بالتعظيم وأنها خصال مميزة إذا التزم بها الإنسان وعمل بها وقد أضاف حذف الموصوف وهو كلمة " **خصال** " الإيجاز والاختصار.

وقدم " **المال** " لأن المرأة إذا كانت صاحبة مال لا تلزم زوجها بما لا يطيق ولا تكلفه في الإنفاق وغيره.

وقوله:" **لحسبها** " والحسب في الأصل الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها فيحكم لمن زاد عدده على غيره.

وقوله: " **جمالها** " لأن الجمال مطلوب في كل شيء لا سيما في المرأة التي تكون قرينة وضجيعة، ومصاحبة للرجل الذي إذا نظر إليها سرته، ولكن إذا تعارض الجمال مع الدين وكانت سيئة الخلق فذات الدين أولى.

وقد وصل بين المفردات بحرف العطف الواو لاتفاق الجمل في الاسمية، ولوجود مناسبة بين الجمل وفي هذا من الحسن والانسجام والتناسق ما فيها فقد تآزرت هذه الأسماء وترابطت وانسجمت مع بعضها البعض حتى صارت كالشيء الواحد.

وقوله: " **ولدينها** " بإعادة اللام، وإعادتها أربع مرات يقول البيضاوي: " إن اللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء لاسيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذا اختاره صلى الله عليه وسلم بآكد وجه وأبلغه، فأمر بالظفر الذي هو غاية البغتة ومنتهي الاختيار والطلب الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة.[١]

وقد تآزرت "**الفاء** " وفعل الأمر في قوله: " **فاظفر بذات الدين** " لتأدية الغرض المراد: وهو: المسارعة والمبادرة بالمطلوب ألا وهو الظفر بذات الدين دون غيرها؛ لأنها يحسن منها القيام على رعاية أولادها وزوجها، وحفظه في نفسه وماله و" **الفاء**" أفادت الترتيب مع التعقيب حيث لا يتأتى منها الفرصة في التواني عن المطلوب، وعدم الظفر وكأن هناك مسارعة أحدثتها هذه الفاء.

والفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا تحققت ما فصلت لك تفصيلًا بينًا فاظفر أيها المسترشد بذات الدين فإنها تكسبك منافع الدارين فالربط بالفاء يجعل الكلام متعلقًا بعضه ببعض، ولو جاء بالواو لآذن باستقلال الكلام؛ لأن إذا عطف بالواو لما أدت ذلك المعنى؛ لأن الواو تقتضي الجمع ولا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا ولا غير ذلك ونلاحظ الربط بين الشرط والجزاء الآخر وتآزره وترابطه مع الشرط الأول بدون فاصل لتلاحق الجواب للشرط فإذا ظفرت بذات الدين تربت يداك.

وفصل بين الجملتين في قوله: " **فاظفر** " وقوله: " **تربت يداك** " لاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية فجاءت الجملة الأولى إنشائية بصيغة الطلب " الأمر " والجملة الثانية " خبرية لفظا إنشائية معنى. وفي ذلك يقول عبد القاهر: "

---

[١] شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٨ ص ٢٢.

فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين فاعرفه.[١]

والمراد النهي عن مراعاة الجمال وغيره مجرد عن الدين فلا ينافي استحباب ذلك في المرأة بدليل أمره_ صلى الله عليه وسلم_ من يريد التزوج بالنظر إلى المخطوبة، وهو لا يفيد معرفة الدين وإنما يعرف به الجمال أو القبح، ويستحب فيها أيضا ألا تكون بالغة إلا لحاجة كأن لا يعفه إلا غيرها، وأن تكون عاقلة في المهمات ويتجه أن يراد.[٢]

وفي إضافة " **ذات**" إلى " **الدين** " ما يشعر بشرف وتعظيم صاحبة هذا الخلق التي تربت على المبادئ والمثل العليا والأخلاق الحميدة؛ فالظفر بها أفضل مما سواها، وقد تعانق فعل الأمر مع الجار والمجرور في قوله: "**فاظفر بذات الدين** " وكأن هناك سراعًا عنيفًا بين أن يميل الرجل إلى زخارف الحياة الدنيا واتباع أهواءها وذلك حتى يرغب ويحث في زواج ذات الدين وكأن الإنسان حينما يظفر بهذه المرأة فقد فاز بالحسنيين لشدة لصوق الدين بها.[٣]

والكناية البليغة في قوله: " **تربت يداك** " كناية عن الدعاء له بالخير والبركة والنماء، إن هو مال إلى ذات الدين أو الدعاء عليه بالفقر إذا رغب في ذات المال والجمال والحسب يقول ابن حجر: " تربت يداك أي لصقتا بالتراب وهو كناية عن الفقر وهو خبر بمعنى الدعاء لكن يراد به حقيقته.[٤]

---

[١] دلائل الإعجاز ص ٢٨٨.

[٢] مختصر الزبيدي ص ٣٩٥

[٣] منار القارئ في شرح صحيح البخاري ج٥ ص ٩٨.

[٤] الأدب النبوي ص ٢٣٩.

والمراد بهذا الأسلوب التحذير الشديد من مخالفة هذه النصيحة الغالية وأن من خافها وتزوج بغير ذات الدين خسر كل المزايا التي لا تتوافر إلا في المرأة الصالحة، فقد حذر من نكاح المرأة التي لادين لها، لأن نكاحها فقر وإن حسبه غنى وخسارة وإن ظنه كسبًا ".[١]

وهي جملة خبرية لفظا إنشائية معنى، وقيل إنها مثل على حد قولهم للشاعر: قاتله الله لقد أجاد،

وأصله الدعاء إلا أن العرب تستعمله للإنكار، والتعجب والتعظيم، والحث على الشيء، وعبر عن الفقر" بالفقر الذي يدفع صاحبه إلى الرضا بذات محتسبا الأجر بالاعتناء من الله سبحانه وتعالى.[٢]

[١] السابق والصفحة نفسها.

[٢] منار القارئ في شرح صحيح البخاري ج٥ ص ٩٨.

المبحث الثاني

الأسرار البلاغية في أحاديث البخاري من كتاب النكاح

ويشتمل على:

- باب تزويج الصغار من الكبار
- باب نكاح الأبكار.
- باب ما يتقى من شؤم المرأة.
- باب الشروط التي لا تحل في النكاح.
- باب كثرة النساء.
- باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها.

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ». [١]

يوضح لنا الهدي النبوي الشريف أن خير النساء نساء قريش؛ لكونهن أحن على ولدها في الصغر وأرعى على زوجها.

استهل الرسول حديثه بالجملة الاسمية التي تفيد التأكيد والثبوت، وقد تواردت الأخبار ما بين الجملة الاسمية والفعلية، ولم يأت فيها أسلوب إنشائي وكأنه عليه السلام أراد أن يعلم أمته بأن الأفضلية لنساء قريش وجاء الأسلوب على طريق الأسلوب الخبري الذي يتضمن " فائدة الخبر" الحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية.

ورد الحديث في معرض خطبة النبي صلى الله عليه وسلم من أم هانئ فاعتذرت لكبر سنها وأنها أم عيال فرفعت بالنبي صلى الله عليه وسلم ألا يتأذى بمسها ولا مخالطة أولادها. [٢]

وعرف المسند إليه بالإضافة لتعظيم شأن المضاف إليه، وعاون على فهم هذا المعنى تنكير المضاف إليه، والمراد نساء العرب، وكان في ذكر المسند إليه مقدمًا للتشويق إلى ذكر المسند، ثم ذكر صفة هؤلاء النساء بأنهن ركبن الإبل؛ لأن الجمل بعد النكرات صفات، وكنى بقوله: " **ركبن الإبل** " عن نساء العرب، وقصد بها

---

[١] صحيح البخاري ج٧ ص٦ رقم الحديث ٥٠٨٢.

[٢] فيض القدير شرح الجامع الصغير زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم الناشر: المكتبة التجارية الكبرى -مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.ج٣ ص ٤٩٢.

التعميم، أي خير نساء العرب كلهن، والشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين ونحوه، كان نيله أحلى، والمزية أولى، فكان موقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف.

وعبر عن نساء العرب؛ بأنهن يركبن الإبل على أن الحديث مسوق للترغيب في نكاح العربيات فلا تعرضن فيه لمن انقضى زمنهن.

وعاون على فهم المعنى التعبير بالفعل الماضي " **ركبن** " للدلالة على تحقق الوقوع ولو عبر بالمضارع لما أفاد المعنى الذي أفاده الماضي.

وقد أثار التشويق الذي ذكر في بداية الحديث من" **خير نساء ركبن الإبل** " سؤالًا تضمنته هذه الجملة فكانت الثانية جوابًا لهذا السؤال والتقدير: "من هن خير نساء ركبن الإبل؟" فكان الجواب: صالح نساء قريش، وهذا ما يعرف عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال " وحسن هذا اللون من الفصل الإيجاز والاختصار فقد أوجزت العبارة واختصرت لتأدية المعنى المراد، وهذا من جوامع كلامه عليه السلام.

وقد أشار الإمام عبد القاهر إلى أن الجملة الأولى تثير في النفس خواطر وهواتف ، فتأتي الثانية مجيبة عن هذه الخوالج ، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الجملة الأولى وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل ، ثم إن في طي هذه الهواتف ، وترك الإفصاح عنها ، والتعبير الجهير بها ضرب من وجازة الكلام ، واختصاره ودمجه ، واكتنازه ، ولو ذهبت تبسط ما حقه البسط لرأيت وراء كل جملة من هاتيك الضروب جملة قد تطول أو تقصر ، ولكنها أضمرت واكتفي في الإبانة عنها

باللمحة الدالة ، والإيماضة السريعة ، التي انعكست في تحريك السامع واستثارة حسه .[١]

وذكر لفظ " صالح " إجراء على لفظة " **أحناه** " والجملة من قبيل الاستئناف البياني وقد تضمنت الجملة الأولى سؤالًا والتقدير ما سبب كونهن خيرا فكانت الإجابة: "أحناه على ولد.

"ووصف نساء قريش بالحنو؛ لأنها هي التي تقوم على تربية ولدها بعد يتمه فلا تتزوج فإن تزوجت فليست بالحانية، وكان القياس أن يقال: أحناهن وأن يقال صالحة نساء قريش، ولكن ذكر باعتبار لفظ الخير وباعتبار الشخص." [٢]

وعدل عن ذكر العرب إلى الصفة المميزة من قوله: "**ركبن الإبل** " لزيادة الاختصاص ولو قيل: أحناهن " كانت الذات المقصودة، والمعنى تابعًا لها فلم يكن بذلك وفي اختصاص العرب من بين سائر الناس واختصاص قريش منها دلالة على أن العرب أشرف الناس وأشرفها قريش". [٣]

"وثناء النبي صلى الله عليه وسلم على نساء قريش بوصفهن دليل على ما ينبغي من اختيار المرأة المتصفة بمثل هذا الوصف، ودليل على ما ينبغي أن يتخير من معادن النساء في بيوتهن وأقوامهن فإن الأخلاق تتوارث، والبنات متأثرات بالأمهات في الغالب." [٤]

---

[١] دلالات التراكيب للدكتور محمد أبو موسى ص ٣١٢.

[٢] عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية بيروت -ج٢٠ ص ٧٨.

[٣] شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ج٨ ص ٢٠٦.

[٤] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج ٥ ص ٢٠٤٤.

والتنكير في كلمة " **ولد** " يومئ إلى أنها تحنو على أي ولد ولو ولد زوجها من غيرها وفي وصف "**الولد**" بـ "الصغر" إشعار بأن حنوها معلل بالصغر، وأن الصغر هو الباعث على الشفقة فأينما وجد هذا الصنف وجد حنوهن ".[١]

ويلاحظ هنا الوصل بين الجملتين في قوله: " **أحناه على ولد في صغره** " و " **أرعاه على زوج في ذات يده** " لوجود المناسبة بين الجملتين واتفاقهما في الخبرية لفظ ومعنى.

ومن السجع المماثلة[٢] التي جاءت في الحديث بين الجملتين في قوله عليه السلام:" أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

فقد أدت المماثلة دورًا مهمًا ومتميزًا في إيضاح المعاني، وذلك من خلال روعة اختيار الألفاظ وتناسقها وانسجامها وإيقاعها داخل البيان النبوي.

وكتاب الله تعالى والسنة النبوية به من السجع ما به ويؤتى به لأغراض في الكلام، فلو كان مستكرهًا لما ورد في هذا الكلام البالغ في الفصاحة كل مبلغ، ولأجل كثرته على ألسنة الفصحاء لا يكاد بليغ من البلغاء يرتجل خطبة، ولا يحرر موعظة إلا ويكون أكثره مبنيا على التسجيع في أكثره، وفي هذا دلالة قاطعة على كونه مقولا مستعملا في ألسنة الفصحاء في المقامات المشهورة والمحافل المعهودة.[٣]

---

[١] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٦٢.

[٢] ما كان في إحدى القرينتين من الألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن. علوم البلاغة لأحمد مصطفي المراغي المكتبة العصرية ،بيروت، ص٣٠٥.

[٣] الطراز للعلوي ج٣ ص ١٢.

وفي قوله: " **في ذات يده** " مجاز عن ماله، فقد أطلق اليد لأنها سبب في حصول المال، لأن الأعمال تكون باليد فأطلق السبب وأراد المسبب وهو حصول المال، ويمكن أن يكون قوله: " **ذات يده**" أوسع فما ذهبنا إليه فيكون كناية عن البضع الذي يملك الانتفاع به وهن أشد حفظا لفروجهن على أزواجهن؛ وفيه إيماء إلى أن السبب له تأثير في الأخلاق وبيان شرف قريش ولا سيما القرشيات وأخذ منه اعتبار الكفاءة بالنسب. "[١]"

والأساس النفسي للمجاز المرسل هو" تداعي المعاني إذ أن هذا المجاز يسوغه التلازم الذهني، فالسبب والمسبب متلازمان ذهنًا وزمانًا ومكانًا، وكذلك الكل والجزء، والحال والمحل.[٢]

وذكر الضمير في قوله: " على زوج في ذات يده " إجراء على لفظ أرعى، أو في الأموال التي في ملك الزوج وتصرفه، وقيل كناية عن بضع هو ملكه أي: أنها تحفظ لزوجها فرجها، فعلى الأول تمدح بأمانتها، وعلى الثاني بعفتها، وعليهما بكمال ديانتها.[٣]

---

[١] فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤف المناوي ج٣ ص ٤٩٢.

[٢] البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح لاشين ص ١٥٨.

[٣] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٥ ص ٢٠٤٤.

الحديث الثاني:

-حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا. (١)(٢)

من خلال الهدي النبوي الشريف توضح لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي عليه السلام لم يتزوج بكرًا غيرها ولكن في أسلوب في غاية الدقة والبراعة.

لقد استهل الحديث الشريف بأسلوب الحوار مع أم المؤمنين عائشة وسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأسلوب النداء في قولها "**يا رسول الله**" واستخدمت أداة النداء التي للبعيد " **يا** " تنزيلًا للقريب منزلة البعيد لعلو شأنه ومنزلته، ففي النداء إثارة للانتباه وإعمال الفكر ويشوق المتلقي إلى ما سيأتي بعده.

---

(١) صحيح البخاري ج ص رقم الحديث ٥٠٧٧.

(٢) الوادي هو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذا للسيل والجمع أودية، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية -بيروتمنار القارئ في شرح صحيح البخاري ج٥ ص ٩٨.

قوله: {يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} الرتعة بسكون التاء وحركتها: الاتساع في الخصب، وكل مخصب مرتع، وقيل يرتع: يأكل، ويقال: رتعت الإبل، أرتعها الله أي: أنبت لها ما ترعاه. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفي الباز -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م ج٣ ص ٧١١، ٧١٢.

وفي إضافة رسول إلى لفظ الجلالة " **الله** " تعظيمًا لشأن المضاف وتشريفًا له بكونه مرسلًا من عند الله تعالى، هذا وقد تواردت الأساليب الاستفهامية والخبرية في سياق الحديث فجاءت متماسكة متآلفة تشد أزرها بأزر بعض.

استهلت حوارها _رضي الله تعالى_ عنها بالاستفهام وهو ليس استفهامًا على حقيقته، وإنما الغرض منه التقرير وكأنها _رضي الله تعالى_ عنها تريد أن تقرره عليه، وتعرف منه أين يقع اختياره ما بين الحالتين التي يريد التفاضل بينهما.

وأوثر في الهدي النبوي الشريف " **الهمزة** " دون غيرها من الأدوات لكونها لطلب التصور ولكونها أم الباب لتثير انتباه السامعين، وإيقاظ عقولهم ومشاعرهم، وهذا يؤدي إلى تقرير المعاني وترسيخها في قلوبهم.

ونلاحظ أن الاستفهام قد وقع في موضعه حيث ورد في سياق التمثيل في الهدي النبوي فضاعف من تقرير المعنى وتوكيده.

وتتوارد الجمل الخبرية التي عبر عنها بصيغة الماضي مرة وأخرى بصيغة المضارع وما بين اختلافها حيث وردت ما بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول مما أدى إلى التفات المتلقي إلى ما سيأتي بعدها.

والتعبير بالماضي " **رأيت** "، **نزلت** " بدلا من المضارع، ولكنها رضي الله تعالى عنها التفتت من المضارع إلى المضي لتحقيق وقوع الفعل وتأكيده، وتقرير ما أفاده الاستفهام التقريري، وكان سياق الحديث بصورة المستقبل؛ لأنها تسأل عن شيء لم يحدث بعد، وكأنها تريد تقريب المستقبل بوقوعه.

وعاون على فهم هذا المعنى " **لو** " التي تدل على امتناع حدوث أمر في الماضي مرتبط بامتناع حدوث أمر ماض آخر فيجد المتلقي صيغة ماثلة له مع

انقضاء لو كان فينتابه التحسر دون قوة في الحديث على الفعل المتضمن في مضي لو وهو يعلم فيأتيه الملتفت إليه ليفجأ المتلقي بسياق مادة في الزمن؛ في زمن المضي. [١]

وتنكير كلمة " **واديا** " لتذهب النفس في تفسيره أي مذهب؛ فلا يجعل واديًا معينًا بل أي وادي يكون.

وفي تنكير كلمة " **شجرة** " ما يفيد الإفراد.

وقد ورد التمثيل في الهدي النبوي الشريف بتشبيه هيئة بهيئة، حيث شبهت البكر بالشجرة التي لم يؤكل منها، فهي أرغب وأحب إلى النفس من الشجرة التي أكل منها، وأن حب المباهاة من طبيعة المرأة في كل العصور، ولم يسلم منها حتى أمهات المؤمنين، وعاون على فهم هذا المعنى أسلوب الطباق فقد طابق بين الجملتين وهذا الطباق يسمى طباق السلب " بين " **أكل منها** " وجملة " **لم يؤكل منها** "، وبلاغة هذا الطباق تكمن في التضاد بين الجملتين، وفي ذلك توكيد للمعنى وتوضيحه.

وضرب المثل للزوجة بمرعى الإبل، فإن البعير إذا رعي شجرة أكل أطيب ورقها وترك أيبسه، ولأن الدواب تكره أن تأكل من مواقع أفواه دواب أخرى، لأنَ الراعية تترك في الورق والعشب رائحة اللعاب، فجاء مثلًا كاملًا صالحًا لتفريق التشبيه؛ لأن الزوجة البكر كالشجرة التي لم يرتع منها، والثيب كالتي رتع فيها، وكالسائمة. [٢]

فالتمثيل وسيلة للإقناع وتقريب الصورة إلى الأذهان وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر : " أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت في معرضه ، ونقلت

---

[١] رصف المعاني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي (المتوفى: ٧٠٢ (٢) تحقيق: أ. د أحمد محمد الخراط الطبعة: الثالثة، دار القلم – دمشق. ص ٢٩٠.

[٢] النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح ص ١٩٧.

عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها، واستشار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم ، وإن كان ذما كان مسه أوجع ، وميسه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد ، وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، وإن كان وعظا كان أشفي للصدر وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ، وأجدر بان يجلى الغيابة ، ويبصر الغاية ، ويبرئ العليل ، ويشفي الغليل ."[١]

وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى أن بلاغة التمثيل تكمن في " أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم. "[٢]

وقد تآزرت جملة الاستفهام في قول أم المؤمنين_ رضي الله تعالى _عنها " **في أيهما كنت ترتع بعيرك** "والفعل الماضي على معنى التخيير الذي أضافه التمثيل إلى المعنى.

ويأتي أسلوب الالتفات في قوله : قال في "**الذي لم يرتع فيه** " فقد التفت من الخطاب في قولها : " أرأيت إلى الغيبة في قوله : " **قال** " الذي أضفي على النفس الإيقاظ وتنشيط الذهن ووجه حسن هذا الضرب : " هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء

---

[١] الدلائل ص ٩٧.

[٢] الدلائل ص ٩٦.

من إجرائه على أسلوب واحد " فجاءت الجمل متناسقة متآزرة بألفاظ سهلة واضحة ومعان رائقة " ورود الالتفات في الكلام إنما يكون إيقاظًا للسامع عن الغفلة، وتطريبًا له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فإن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر، تنشيطًا له في الاستماع، واستمالة له في الإصغاء إلى ما يقوله.

وهذا فيه غاية بلاغة أم المؤمنين عائشة وحسن تأنيها؛ لأنها كانت البكر الوحيدة من أزواجه وكانت تدل بذلك، وتشير إليه بذكاء وفطنة امتازت بها، تقول في هذا الحوار إدلال مقبول لا يخال الحقيقة، ولا يجانب الصدق، فليس من ضرر لهذا الإدلال والاعتزاز، وإدخاله السرور على قلب زوجه.

وما أحسن قول الحريري في تفضيل البكر أما البكر فالدرة المخزونة، والبيضة المكنونة، والثمرة الباكورة، والروضة الأنف، والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس، ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث، ولا واكها طامث، لها الوجه الحي والطرف الخفي والغزالة المغازلة، والملحة الكاملة، والوشاح الطاهر القشيب، والضجيع الذي يشب ولا يشيب.[١]

وقد جاءت جملة " قال " مفصولة عما قبلها، لأن بعد القول كما يقول الإمام عبد القاهر يأتي الكلام مفصولًا عما قبلها فالفصل لشبه كمال الاتصال.

ونلاحظ أن التكرار الذي أضفاه الهدي النبوي لم يعط إلا تأكيدًا وتقوية للكلام فقد وردت بعض الأفعال كـ " **أكل، يؤكل، ترتع، يرتع** "بما أضفي توازنًا وتناسقًا بين ألفاظ الحديث وكان للصورة التمثيلية الأثر الواضح في البيان النبوي.

---

[١] شرح القسطلاني إرشاد الساري ج٧ ص ١٢.

الحديث الثالث

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ العَسْقَلاَنِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ[1] فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ».[2]

الهدي النبوي ينفي الطيرة والعدوى، ويقول عليه السلام إن كان هناك شؤم ففي ثلاثة أشياء " **المرأة والدار والفرس. فإخباره** عليه السلام بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها فيكون ذلك من باب الإخبار بالواقع، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون بأشياء أبطلها الإسلام، ومعنى تشاؤمهم أنهم كانوا يعتقدون وصول المكروه من أشياء لا تعد سببا للتشاؤم.

آثر عليه السلام استخدام الشرط ولا يخفي علينا ما يضفيه هذا اللون من ترابط الأجزاء بين الشرط والجواب، وكأنه عليه السلام يريد أن يؤكد الفكرة التي جاء بها في هذا الأسلوب وأوثر التعبير بـ"**إن** "دون " **إذا** " وفي ذلك يقول الخطيب القزويني: " أما " إن وإذا " فهما للشرط في الاستقبال ، لكنهما يفترقان في شيء وهو أن الأصل في " إن " ألا يكون الشرط فيهما مقطوعا بوقوعه كما تقول لصاحبك " إن تكرمني أكرمك " وأنت لا تقطع بأنه يكرمك " ، والأصل في "إذا " أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه كما تقول : " إذا زالت الشمس آتيك ،

---

[1] الشؤم: ضد اليمن فهو من معنوي ذلك لأن به تستشعر النفس وقوع مكروه فيغشاها غم وكرب، " وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة الواقعة آية٩، المعجم الاشتقاقي المؤصل د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

[2] صحيح البخاري ج٧ ص ٨ رقم الحديث ٥٠٩٣.

ولذلك كان الحكم النادر موقعا لإن ؛ لأن النادر غير مقطوع به في غالب الأمر ، وغلب لفظ الماضي مع " إذا " لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرا إلى اللفظ ".[١]

ولإرادة تحقق الوقوع عبر بالفعل الماضي " **كان** " في قوله: " **إن كان** " ثم أفاد التعبير بالنكرة في قوله: " شيء " لتحقير هذ الأمر أي إن كان شؤم ففي هذه الأشياء وفيما يدل على " إبطال مذهبهم في الطيرة بالسوائح والبوارح.

وفي تقديم " **الشؤم** " على " **الأشياء الثلاثة**" لما في ذلك من التعجيل بالأخبار بفساد العدوى والطيرة المتوهمة.

قال القاضي عياض: وقد يكون الشؤم هنا على غير المفهوم منه من معنى التطير، لكن بمعنى قلة الموافقة وسوء الطباع، كما جاء في الحديث الآخر: " سعادة ابن آدم في ثلاثة، وشقوة ابن آدم في ثلاثة: فمن سعادته: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الصالح، ومن شقاوته: المسكن السوء والمرأة السوء والمركب السوء."[٢]

" الشؤم في الأحاديث المستشهد بها محمول على الكراهية التي سببها ما في الأشياء من مخالفة الشرع أو الطبع، شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها، وكذا شبهة في سكناها وبعدها عن الجماعة بحيث تفوته الصلاة مع الإمام، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وغلاء مهرها، ونحوها من حملها الزوج على ما يليق بأرباب التقوى، وشؤم الفرس ألا يغزى عليها أو يركب عليها افتخارا وخيلاء، وقيل حرانها وغلاء ثمنها. "[٣]

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ١٤١.

[٢] إكمال المعلم ج٧ ص ١٥١.

[٣] مرقاة المشكاة ج٧ ص ٢٨٩٩.

ثم تأتي "الفاء" الرابطة بين جملة فعل الشرط وجواب الشرط في قوله: " **ففي الدار والمرأة والفرس** " مما لا يعطي للمتلقي فرصة للتأخير بل توحي بالسرعة فالفاء تدل على قوة الربط والامتزاج بين الجملتين مما أعطى جرسًا موسيقيًا بين الجملتين، ويحرك المشاعر، ويوقظ الوجدان، وكان هذا من أسباب الجمال الإتيان بجواب الشرط مقترنا بالفاء.

وقد أضفي المحسن البديعي اللف والنشر[١] على الحديث الشريف من عناصر الجمال والتلاحم والترابط، وترجع بلاغته إلى أنه يأتي أولا عن طريق الإجمال فتكون النفس متشوقة إلى ما سيأتي بعدها ثم يأتي بعد ذلك عن طريق التفصيل؛ فقد ذكر أولا ما فيه تتوق النفس وهو أن الشؤم في ثلاثة أشياء، وفي ذلك ما يثير الانتباه وينشط الذهن حيث يأتي التفصيل بعد والنفس إليه مترقبة متشوقة.

وعطف بواو العطف في قوله عليه السلام: **الدار، والمرأة والفرس** " لاشتراكهم في الاسمية ولوجود مناسب يبنهم لكونهم من ضروريات الحياة، ولا بد للإنسان منها.

وهذه الأشياء الثلاثة ليس لها بأنفسها وطباعها فعل وتأثير وإنما ذلك كله وقضائه، وخصت بالذكر؛ لأنها أعم الأشياء التي يعتنيها الناس، وهذه الأشياء غالبا تكون اسبابًا لسوء الخلق، هذا الشؤم فلذا نسب إليها. [٢]

---

[١] اللف والنشر: هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل من غير تعيين ثقة بالسامع يرده إليه. الإيضاح للخطيب القزويني ج ٤ ص ٣٠.

[٢] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٥ ص ٢٠٤٦.

الحديث الرابع

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ زَكَرِيَّاءَ هُوَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا». [1]

لا يحل لامرأة أجنبية كانت أم زوجة تطلب من زوجها أن يطلق ضرتها، أو تطلب من الرجل أن يطلق زوجته ويتزوجها أو تشترط عليه ذلك إن خطبها حتى تتزوجه سواء كانت أختا لها في النسب أو الرضاع أو الدين، لتقلب ما كانت في إناء أختها في أناها والمعنى لتحرم أختها مما كانت تتمتع به من حظوظ وتستأثر هي بكل شيء. **(ما قدر لها)** لا تحصل إلا ما هو مقدر لها في الأزل مهما حاولت وسعت ولكنها تكسب بذلك سيئة سعيها في أذى غيره.

يستهل الهدي النبوي الشريف بالنهي " في قوله: " **لا يحل لامرأة** " والمراد من النهي هنا التغليظ عليها والتحذير من أن تسأل طلاق أختها، ولترض بما قسم الله لها، لما فيه من الكراهية التي تلحق أختها، والإسلام دين محبة ووئام وسلام " والحديث ورد في معرض النهي إذ لا يحق للمرأة الأجنبية أن تسأل الرجل طلاق زوجته وأن يتزوجها هي فيصير لها من نفقته ومعونته ومعاشرته ما كان للمطلقة ". [2]

وفي تنكير كلمة " امرأة " ما يشعر بجنس النساء عامة فالخطاب عام لكل امرأة تطلب هذا الطلب وتكون السبب في هدم البيوت وتفريق شمل الأسرة، وفي هذا

---

[1] صحيح البخاري ج ٧ ص ٢١ رقم الحديث ٥١٥٢.

[2] الصحفة كالقصعة والجمع صحاف، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م، ج ٤ ص ١٣٨٤.

التنكير ما يوحي بسوء الفعلة التي فعلتها تلك المرأة، وجشعها وسلبها كل متع الحياة لأختها.

عبر بـ " **الأخت** " في قوله: " **أختها** " لأن الأخت أعم من أخت القرابة أو غيرها من المؤمنات لأنهن أخوات في الدين والرضاعة والنسب وغير ذلك، ومن خلال هذا التوجيه النبوي يحثنا النبي عليه الصلاة والسلام لا ينبغي لها "أن تطلب طلاق أختها "لتتصل بالزوج الذي كان لها طلبا لأن تجر حظها إليها، وتستند بالنفع عليها، فتكون كأنها اكتفات ما في إنائها: أي أمالت الإناء إلى نفسها فقلبته لتستفرغ ما فيه وتستأثر عليها به.

وذهب الشريف الرضي إلى أن في الحديث تشبيهًا تمثيليًا؛" فقد شبه حالة الأخت التي تعمل على طلاق أختها من زوجها لتتزوج هي به بحالة الشخص الذي يقلب الإناء فيفرغ ما فيه ثم يأكله أو يشربه كله، فوجه الشبه منتزع من متعدد وهو تشبيه طلب التطليق بمحاولة قلب الإناء ووقوع التطليق بإفراغ الإناء والزواج بزوج الأخت بأكل ما في الإناء كله أو شربه كله، فوجه الشبه منتزع من متعدد." [1]

وفي الكلام استعارة ؛ فقد استعيرت الصحفة ، وما يتصل بها ، لزجر المرأة أن تسأل طلاق أختها لتنفرد بزوجها ، وعبر بالصحفة ليدل على نهم المرأة إذا قدمت على أختها وأخذت منها زوجها ، وهذه الاستعارة جسدت المعنى وأدت دورًا بارزًا في إيضاح المعاني من خلال اختيار الألفاظ بدقة واضحة، وهذا إن دل يدل على أن هذه المرأة منعت أختها السعادة الزوجية وطيب العيش فانقلبت حياتها إلى نغص ونكد ، فقد جسدت الاستعارة المعنويات إلى أشياء محسوسة ملموسة

[1] المجازات النبوية للشريف الرضي ص ٥٣.

للعيان بصورة الصحفة التي يوضع فيها الطعام والتهام كل ما فيها حتى لا يصير فيها أشياء ، وفي هذا من شدة النهم والجشع ما فيه ، ويشير القسطلاني إلى هذه الاستعارة فيقول: " هذه استعارة تمثيلية شبه النصيب والبخت بالصحفة وحظوظها وتمتعها بما يوضع في الصفحة من الأطعمة اللذيذة ، وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة ، ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به ، واستعمل في المشبه واستعمل في المشبه ما كان مستعملًا في المشبه به من الألفاظ . "[١]

وفي ذلك يقول الدكتور محمد أبو موسى: "ومن خصائص النفس الإنسانية التي تنزع في كثير من الحالات التي يصير ما حولها داخلا في جنسها وكأنها جادة في أن تحول الأشياء كلها إلى أناس لتعيش معها في وئام، ولتثبيتها سرائرها، أو لتبوح لها الأشياء بدواخلها، وهي تنزع على إخراج الأشياء من حالة الصمت الذي ينطوي على رهبة وغموض إلى حالة النطق المبين. [٢]

ولم يرد الصحفة خاصة، وإنما جعلها مثلا لحظها منها منه، كأنه إذا طلقها أمالت نصيبها منه إلى نفسها، وفي رواية لتكفي ما في إنائها، وهذا مثل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زوجها إلى نفسها، أكفأت الإناء: كببته وأكفأته وكفأته: إذا أملته وقيل: كناية عن الجماع والرغبة في كثرة الولد، وتعاونت الاستعارة مع التشبيه التمثيلي في الحديث في توضيح فكرته التي أراد النبي أن يبثها في نفوس المسلمين من عدم التعدي على حقوق الآخرين.

---

[١] شرح القسطلاني – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٨ ص ٦٤.

[٢] التصوير البياني للدكتور محمد محمد أبو موسى، الطبعة: الرابعة، مكتبة وهبة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، ص ٢٧٤

وفي الحديث ما يشير إلى أن " سؤالها ذلك بزائد في رزقها شيئا لم يقدر لها، ودل نهيه عليه السلام المرأة أن تشترط طلاق أختها أن الطلاق إذا وقع بذلك ماض جائز، ولئن لم يكن لنهيه عليه السلام عن ذلك معنى وكان اشتراطها ذلك كلا اشتراطها". [١]

وفي دخول " **الفاء**" في قوله: " **فإنما لها ما قدر لها** " ما يجعل الكلام مرتبًا بعضه على بعض، وفي دخول الفاء على " **إن** " المؤكدة للجملة الواقعة جوابا في السؤال عن السبب الخاص؛ فجمال التصوير بالفاء في صورة فقال يدل على شفافيته وسرعة بديهته، وجاءت " الفاء " لتحقيق الترابط بين الجمل والتقوية، وهي تفيد الترتيب والتعقيب.

وقدم المسند " **لها** " على " المسند إليه في قوله: " **لها ما قدم لها** " ليفيد التخصيص وكذلك العناية بالمقدم بأن ما قدره لها لا يتعداه إلى غيرها، فلا يجوز لها أن تسأل طلاقها من زوجها؛ لتستفرغ صحفتها.

وقد تعانقت ضمائر الغيبة في الهدي النبوي في " **أختها، طلاقها، لها، لها** " وهذا ما يمثل قمة الروعة والإبداع والتماسك بين الجمل والمساهمة في إبراز المعاني وتوضيحها، وكأن الخطاب خاص بالنساء لتوجيههم ونهيهم عن الجشع والطمع في أخذها حظ أختها، ومع تكرار الضمائر إلا أن فيها تشوقا وجذبا للأفكار وإيضاحا للفكرة التي أراد النبي عليه السلام أن يعلمها للنساء من عدم التطاول على أختها.

وفي التعبير بقوله:" " **ما قدر له** " وبناء الفعل للمجهول لكون الفاعل معلومًا وهو الله سبحانه وتعالى.

---

[١] شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٧ ص ٢٧٣.

والضمير في قوله: " **فإنما لها ما قدر لها** " فيحتمل أن يكون للسائلة، والمعنى فإن للسائلة ما كتب لها قدرا أو أزلا، ولن يغير سؤالها من إرادة الله شيئا، فإن كان هذا الزوج المسؤول مكتوبا فستناله سألت طلاق أختها أم لم تسأل، وإن لم يكن مكتوبا لها فلن يفيد شيئا، ويحتمل أن يكون الضمير للأخت المسؤول طلاقها، والمعنى: لا تتعب السائلة نفسها في طلب طلاق أختها، فإن لأختها ما قدر لها.[١]

[١] فتح المنعم ج٥ ص ٥٠٦.

الحديث الخامس

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الحَكَمِ الأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ رَقَبَةَ، عَنْ طَلْحَةَ اليَامِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»

خير هذه الأمة أفضلها. أكثرها نساء من كان عنده نساء أكثر من غيره وسياق الكلام يدل على أن المراد بالنساء الزوجات وهذه الأفضلية أذا تساوت مع غيره في باقي الفضائل].

يدور الحوار في الحديث الشريف بين صحابيين جليلين ألا وهما سعيد بن جبير والصحابي الجليل ابن عباس فيدور الحديث بين السائل ابن عباس وسعيد بن جبير ، وهي أحداث محسوسة سائل يسأل ومجيب يجيب؛ فالحوار وسيلة من وسائل التشويق للغرض الذي يود البليغ أن يمكنه من نفوس مخاطبيه واستمالة قلوب السامعين إلى الجواب ' وإشعارهم بأن ما سيأتي من الجواب لابد من الالتفات إليه وقد أوحت (**هل**) الاستفهامية معنى التقرير وفيه إثارة انتباه السامع لأهمية الموضوع الذي يريد التحدث فيه وفي ذلك من التأكيد وترسيخ الفكرة في النفس وكأنه يريد الاعتراف بالفكرة وانتزاعها من المخاطب واعترافه بها ، وهذا ما يشعر بأن المستفهم عنه ليس أمرا مجهولا لدى السائل ، وإنما استفهم عنه للتقرير.

وفصل بين الجملتين لما بينهما من شبه كمال الاتصال؛ لأن الجملة الأولى تضمنت سؤالًا صريحًا فكانت الثانية جوابًا عنها في قوله: " **قلت لا** " ثم التفت من الغائب في قوله:" **قال** " إلى أسلوب الخطاب في قوله: " **فتزوج** " وهذا الالتفات لتنشيط الذهن لأن المتكلم إذا كان يتحدث في كلام ثم التفت عنه إلى كلام آخر كان ذلك أدعى للإيقاظ وتنشيط الذهن.

ودخول" **الفاء**" على الجملة الطلبية ما يشعر بعدم إعطاء مهلة للتشاور فإذا كان لدى الإنسان المقدرة على الزواج فليفعل، وفي هذا ما يدل على سرعة البديهة، فضلا على أن العطف بالفاء يجعل الكلام مرتبطا بعضه ببعض وآخذا إزره بإزر بعض ولو جيء بـ " الواو" في موضع "الفاء" لما أدت هذا المعنى الذي أدته الفاء من الترابط والتماسك بين ألفاظ الحديث.

وإيثار الهدي النبوي الشريف الإتيان بصيغة الأمر في قوله: " **فتزوج** " للحث والإرشاد على الزواج حتى تتكاثر أمة محمد عليه السلام.

وتتوارد الجملة الخبرية بذكر العلة والسبب في الزواج بقوله: " **فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء** " وقد أكد الكلام بـ " **إن واسمية الجملة** " لما يشعر بالتأكيد وترسيخ الفكرة التي أراد أن يبثها سيدنا عبد الله ابن عباس في نفوس من المسلمين وفي ذهن سعيد بن جبير.

وفصلت جملة " **فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء**" لما بينهما من شبه كمال الاتصال وكأن سائلا يسأل لماذا أتزوج فقيل:" لأن خير هذه الأمة أكثرها نساء " وهذا ما يشعر بالتقرير والتأكيد.

"والأظهر أن مراد ابن عباس بالخير النبي وبالأمة إخصاء أصحابه وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح إذ لو كان راجحا ما آثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره، وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولإظهار المعجزة البالغة." [١]

والتعبير باسم الإشارة المشار إليه بالقرب في قوله: **هذه الأمة** " لتعظيم المشار إليه وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[١] صحيح البخاري ج٧ ص ٣ رقم الحديث ٥٠٦٩.

وقد وقعت كلمة " الأمة " بدلا من اسم الإشارة في قوله: " هذه" لزيادة التقرير والإيضاح " وفي البدل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات الحكم، ولا يكون هذا إلا لمقام يقتضيه."[١]

ثم يأتي المسند في قوله: **أكثرها نساء** " اسما فيستفاد منه الثبوت، وفي إضافة "**أكثرها**" **إلى**" **نساء** " وتخصيصها بالنكرة لاتحادها في الغرض وتخصيصها ذلك للتعظيم، " وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادهما معه في ذلك الغرض، وقد ذكر السعد أن حمل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح؛ لأنه لا فرق بينهما في ذلك، ولا يخفي أن أغراض الإضافة والوصف في المسند إليه " إذ الوصف والإضافة في الحديث الشريف للتعظيم.[٢]

[١] بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ج١ ص ٨٦.

[٢] السابق ج١ ص ١٥٣.

الحديث السادس: حَدَّثَنَا **مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ».** [١]

يشير الهدي النبوي الشريف إلى " أنه لا يجوز للولي أن يزوج المرأة التي تحت ولايته إلا بإذنها سواء كانت بكرًا أو ثيبًا، فإن كانت ثيبًا عبرت عن رضاها بصريح القول، بأن تقول أي كلمة صريحة تدل على الرضا، حتى كأنها تأمر وليها بتزويجها منه، وإن كانت بكرا فإنها تستأذن بكل ما يدل على رضاها ولو بالسكوت لاستحيائها، لأنها لو تكلمت صريحا لظن أنها راغبة في الرجال، وهذا لا يليق بالبكر. [٢]

في قوله عليه السلام: **لا تنكح** " لا نافية والفعل مرفوع، والجملة خبرية لفظا والمراد به النهي، ويصح أن تكون " **لا** " ناهية والفعل مجزوم، ويحرك، والخبر أبلغ من النهي في النهي.

والتعبير عن النهي بلفظ الخبر يشعر من أن النهي التزم ونفذ، ويخبر عنه بأنه حاصل فعلا وواقع، وهذا الادعاء سر بلاغته ". [٣]

---

[١] صحيح البخاري ج٧ ص ١٧ رقم الحديث ٥١٣٦.

[٢] منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري ج٥ ص ١١٦.

[٣] فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج٥ ص ٥٠٤.

الأيم في الأصل التي لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا، مطلقة كانت أو متوفى عنها، لسان العرب ج١٢ ص ٤٠.

الثيب وقيل الإنسان إذا تزوج ثيب وهو فعيل من ثاب وإطلاقه على المرأة أكثر لأنها ترجع إلى أهلها بوجه غير الأول ويستوي في الثيب الذكر والأنثى، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج١ ص ٨٧.

تستأذن، استأذنه طلب منه الإذن، القاموس المحيط ج١ ص ١١٧٥.

وبناء الأفعال " **تنكح، تستأذن، تستأمر** " لكون الفاعل معلومًا لدى المخاطب، ولأنه معلوم للمتلقي، هذا فضلًا عن الإيجاز والاختصار في عدم ذكر الفاعل.

وتأتي المقابلة البليغة بين الجملتين فـ" **البكر**" تقابل "**الأيم** " والأيم المراد بها الثيب في الحديث، وقوله: " **تستأمر**" يقابلها " **تستأذن** " وتكمن بلاغة المقابلة في أنها سبب من أسباب وفاء المعنى وتمام الغرض فلما كانت الأيم والمراد بها الثيب يؤخذ منها الأمر صريحًا بخلاف البكر فإن إذنها بالسكوت.

"والمراد بالاستئمار المشاورة، وذلك بأن الاستئذان أبلغ من المشاورة، فلو حمل الاستئمار عليها ينعكس الأمر، وليس كذلك؛ فإن المشاورة تستدعي أن يكون للمستشار رأي ومقال فيما يشاور فيه ولا كذلك الاستئذان.[١]

وفيه دلالة على أن الثيب لا تجبر على النكاح، وكأنه جعل ثيبوبتها علة في ذلك، ودل على أن التي تخالفها وهي البكر تجبر على النكاح، ومعنى الإجبار أن يباشر العقد فينفذ عليها شاءت أو أبت.

والاستئذان أن يقال لها مثلًا: خطبك فلان بن فلان، ويذكر من صفته وأخلاقه وماله، ثم تسكت أو ترفض، وأما الاستئمار فإنها تشاور؛ لأنه من الائتمار لقوله تعالى: " وائتمروا بينكم بمعروف.[٢]

وفسر الإذن بقوله: وصمات البكر ونطق الثيب، صمات البكر أي: سكوتها ونطق الثيب أي: تقول: نعم رضيت.[٣]

---

[١] شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن ج٧ ص ٢٢٧٩.

[٢] الطلاق آية: ٦

[٣] الشرح الممتع على زاد المستنقع لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) دار النشر: دار بان الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-١٤٢٨هـ ج١٢ ص ٦٦.

ووصل بين الجملتين في قوله :" **لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ**» لما بينهما من الاتفاق في الخبرية لفظًا ومعنى ،ولوجود المناسبة بين الجملتين وفي التعبير بالمضارع في : " **تنكح ، تستأذن ' تستأمر** " ما يشعر بالاستمرار والتجدد ، والتكرار الذي بين الفعلين فقد كرر الفعلين " **لا تنكح** "مرتين للدلالة على أن الأيم المراد بها الثيب في الهدي النبوي وهي غير البكر ، والعطف يقتضي المغايرة وفي التكرار ما يشعر برسوخ الفكرة وتثبيتها في الأذهان فهذا الحديث تميز بسهولة ألفاظه ووضوحها وحوت بداخلها معان مختلفة ، لأن الرسول الكريم يستخدم هذا التكرار في الأمور التي تهم المسلمين، وترسيخ عقائد دينية يريد توضيحها للمسلمين.

فهذه الجمل متوازنة ومرتبطة مع بعضها البعض في سياق واحد فبين الجملتين موازنة؛ لأن الفاصلتين متساويتان في الوزن دون التقفية.

وفي حوار الصحابة له عليه السلام ما يلفت الانتباه ويوقظ الذهن، وفي ذلك ما يدعو إلى تأكيد الفكرة والحث عليها؛ لأنه وسيلة من وسائل التشويق الإقناع والإمتاع الذي يمكن من نفوس المخاطبين وكان عليه السلام يرحب بمثل هذه الحوارات.

وفي إيثار النداء بـ " **يا**" ما يشعر بقرب المنادى فقد نزل القريب منزلة البعيد تعظيمًا لشأنه وفي النداء إثارة للانتباه وإعمال الفكر لما يحمله أسلوب النداء من معنى خفي بخلاف المعنى الظاهر وهذا هو سر بلاغته وفي إضافة " **رسول** " إلى لفظ الجلالة" **الله** " ما يوحي بتعظيم سيدنا محمد عليه السلام فهو حبيب الله وصفيه وأفضل الرسل على الإطلاق.

ويتآزر أسلوب الاستفهام مع الأسلوب الخبري وأسلوب النداء في السؤال بـ " **كيف** " في قوله: " **وكيف إذنها** " والمراد من الاستفهام التعجب بسؤالهم رسول الله وكيف يكون إذن البكر التي لم يسبق لها الزواج "فالاستفهام يثير في النفس التفكير ويدفعها إلى تدبر الأمور حتى تقتنع بتفكيرها الخاص، بأنه ما كان ينبغي أن يقع ما وقع، أو كان الصواب أن يقع ما لم يقع."[١]

والسؤال يشعر بأن البكر قد تستحي بأن يفضح أمرها بردها فجعل رضاها في السكوت لأنها " **تستأذن** بكل ما يدل على رضاها ولو بالسكوت لاستحيائها، لأنها لو تكلمت صريحًا لظن أنها راغبة في الرجال، وهذا لا يليق في البكر." [٢]

وفصل بين جملة " **قال** " وجملة السؤال لأن الجملة الأولى أثارت سؤالا " **وكيف إذنها** " فكانت الجملة الثانية جوابا عن هذا السؤال " قال" وبعد جملة القول كما يقول عبد القاهر شبه كمال اتصال.

[١] من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ص ١٢٦.

[٢] منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري ج٥ ص ١١٦.

الحديث السابع

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ عِرَاكٍ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ، فَقَالَ: «أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلاَلٌ». [1]

يوضح لنا النبي عليه السلام في هذا الهدي النبوي الشريف بأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بأن أباها أخ للنبي عليه في الدين وهذه الأخوة لا منع النسب ليست في الرضاع ولا في النسب.

استهل الهدي النبوي الشريف بالتشبيه المقيد في قوله : **أنت أخي** " وقيد هذا التشبيه بكونه في دين الله وكتابه وهذا التشبيه مستمد من قوله تعالى : " إنما المؤمنون أخوة " فقد شبه عليه السلام سيدنا أبي بكر بالأخ الذي تربطه به صلات قوية كحق الأخ على أخيه ،ولكن قيد هذه الأخوة بكونها في دين الله وكتابه وفي هذا إشارة إلى قول سيدنا أبي بكر : " **إنما أنا أخوك** " فرد عليه اعتقاده بأنه أخ له في دين الله ' فقد جاء المشبه مفردا غير مقيد ، و جاء المشبه به مفردا مقيدا بقيدين ألا وهما أخوة الدين وكذلك الرابط القوي بما بينهما من التمسك بحبل الله وكتابه .

وقد وظف عليه السلام الجمل الخبرية في تأدية المعنى وترسيخه في الأذهان بإيثار الجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام، فكان التعبير عن الفكرة التي يريد إثباتها وترسيخها بأن رابط الأخوة في الدين وليس في الرضاع، فابنة سيدنا أبي بكر حلال له تحل له عليه السلام.

---

[1] صحيح البخاري ج٧ ص٥ رقم الحديث ٥٠٨١.

وقد اختير طريق القصر بتعريف الطرفين في قوله: " **أنت أخي** " قصر الأخوة على سيدنا أبي بكر قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، وطريق القصر تعريف الطرفين، والغرض من القصر المبالغة في الأخوة.

وقد وصل بين الجملتين لما بينهما من التناسب في الاسمية، فالتناسب بين المعطوف والمعطوف عليه من الأمور الضرورية، وذلك لتمام الملاءمة بينهما، فيكون نظيرين أو شريكين أو غير ذلك من أنواع المناسبة التي تجمع بينهما "[١]

وعبر عليه السلام بضمير الغيبة في قوله عليه السلام: " **وهي** " وكان القياس أن يعبر باسمها الظاهر ويقول عليه السلام: " **وعائشة لي حلال** " وذلك لأن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، أو أراد أنها معلومة لديه فلم يذكرها باسمها، لأن المقام مقام غيبة.

وهو ضمير لا مرجع له، تسمعه النفس فتتهيأ لسماع ما يأتي بعده، لأن الأسلوب العربي لا يأت بهذا الضمير إلا في المواطن التي يكون فيها أمر مهم، تراد العناية به، فيكون هذا الضمير أداة للتنبيه، يدفع المرء إلى الإصغاء، فإذا وردت الجملة بعده استقرت في النفس واطمأن إليها الفؤاد.[٢]

وقد وظف التقديم توظيفًا له دلالته في السياق الوارد فيه في قوله عليه السلام : " **لي حلال** " فقد قدم الخبر على المبتدأ ،وهذا التقديم للقصر ،حيث قصر الحلال عليه السلام عليه وحده دون ما عداه على سبيل القصر الحقيقي التحقيقي والقصر في هذا الحديث مؤكد لأنه أتى بطريقين في عبارة واحدة ،وكأن هذه العبارة كررت مرتين على سبيل التوكيد اللفظي ،فضلا عن الإيجاز؛ لأن الجملة القصر في قوة جملتين ، هذا

---

[١] من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى:

١٤٠٣ هـ-١٩٨٣، ص ٧٧.

[٢] من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ص ١٠٦.

والمقصور عليه في طريق التقديم هو المقدم في طريق ما حقه التأخير، ودلالة التقديم على القصر بفحوى الكلام، فتقديم المسند على المسند إليه تفيد الاختصاص بمعونة السياق، وقد يكون لمجرد الاهتمام وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: " إنه جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان ".[١]

وقد قدم المسند إليه في هذا الهدي النبوي الشريف للعناية بالمقدم وهو كون السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر: " لا يكفي أن يقال قدم للعناية.

وقد وَقعَ في ظنونِ الناسِ أَنَّه يكفي أنْ يقالَ: "إنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكْرَه أَهمُّ"، مِنْ غير أن يُذْكَر، مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟ ولِتخيُّلِهم ذلك، قد صَغُر أمرُ "التقديمِ والتأخيرِ" في نفوسهم، وهَوَّنوا الخَطْبَ فيه، حتى إنك لتَرى أكثرَهم يَرى تَتبُّعَه والنظرَ فيه ضرباً من التكلُّف. ولم ترَ ظنّاً أَزرى على صاحبهِ من هذا وشبهه.[٢]

ويقابلنا التنكير في قوله: " **حلال** " للتعظيم. هذا وقد تواردت في الحديث الشريف الجمل الخبرية دون أن نرى فيها أي من الجمل الطلبية وذلك لأن التعبير بالجملة الاسمية آكد من التعبير بالجملة الفعلية، فضلًا عن الإيجاز الذي حوته ألفاظ الحديث وسهولتها وبراعتها.

---

[١] دلائل الإعجاز ص ١٠٦.

[٢] السابق ص ١٠٨.

المبحث الثالث

الأسرار البلاغية في كتاب النكاح

ويشتمل على:

- باب وربائبكم اللاتي في حجوركم.
- باب حق إجابة الوليمة والدعوة.
- باب المدارة مع النساء.
- باب النهي عن الشغار.
- باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها.
- باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم.
- باب ما يكره من ضرب النساء.

الحديث الأول

حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ قَالَ: «فَأَفْعَلُ مَاذَا؟» قُلْتُ: تَنْكِحُ، قَالَ: «أَتُحِبِّينَ؟» قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي، قَالَ: «إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِي»، قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ، قَالَ: «ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي مَا حَلَّتْ لِي، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ» وَقَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ: دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ". (١)

في هذا الهدي النبوي الشريف يوضح لنا نبي الأمة بأن ما يحرم من الرضاع يحرم من النسب ، وأن ابنة حليلة الزوج لا تصح له ، وكذلك يحرم الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف " **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا.**"(٢)

من طبع النساء الغيرة على أزواجهن وقد سألت أم حبيبة رسول الله أن يتزوج أختها والمراد من الاستفهام في قولها: " **هل لك في بنت أبي سفيان** " العرض والحث على التزويج من أختها.

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١١ رقم الحديث ٥١٠٦.

(٢) سورة النساء آية ٢٣.

وجاءت جملة " قال " مفصولة عما قبلها لشبه كمال الاتصال.

ويأتي الاستفهام في قوله: " **أفعل ماذا؟**" والمراد منه التعجب من حالها، والمراد هذا العرض ما المقصود منه، فإن قلت ماذا له صدر الكلام قلت: تقديره فماذا أفعل ماذا؟

هذا وقد تواردت الجمل الاستفهامية عن طريق الحوار الذي دار بين أم حبيبة والرسول عليه الصلاة والسلام، وفي هذا الحوار عن طريق الاستفهام ما فيه من الإقناع والإمتاع لما في ذلك من إثارة الأسئلة وطرحها ثم يأتي الجواب عنها، ويكون السائل قد فرغ ذهنه للاستماع ولفت الانتباه، وأقبل بكل نشاط وإيقاظ لفهم ما قد قيل بكل أذن صاغية وأذهان واعية فيقبل على الإجابة بكل محبة واستحضار للعقل.

وتأتي جملة القول مفصولة عما قبلها لما في ذلك من الاستئناف البياني، وقد تنوعت الجمل من الماضي في" **قلت** " إلى " **تنكح** " بصيغة المضارع " لما في ذلك إيقاظ الذهن وتنشيطه فإن الالتفات من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أكثر تطرية لنشاط السامع " والفعل المضارع يدل على الحال أي على وقوع الحدث الآن، وهذه دلالته الأصيلة.

ومن هنا كانت صيغته أقدر الصيغ على تصوير الأحداث؛ لأنها تحضر مشهد حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع، ولهذا الفعل مواقع جاذبة في كثير من الأساليب حين يقصد به إلى ذلك، وترى المتكلمين من ذوي الخبرة بأسرار الكلمات يعبرون به عن الأحداث الهامة التي يريدون إبرازها، وتقريرها
في خيال السامع " [١]

[١] خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني للدكتور محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة ص ٢٦٤.

والاستفهام بقوله: " **أتحبين** " التثبت والتحقق في شدة الرغبة ليتقرر الجواب بعد ذلك وهو استفهام للتعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة التي جرت بها العادة بين النساء في أزواجهن.

وقوله: " **لست لك بمخلية** " أي ما بمنفردة بك وأن المشاركة حاصلة فأحب من شاركني في خير أختي، فهي تحب لها الخير، وهو أن تكون أما للمؤمنين، وتكون زوجة للرسول الكريم، وكأنها تشرح له السبب الذي من أجله طابت نفسها بزواجه من أختها وهو أنه لا بد لها من مشارك فيه من النساء، ولن تنفرد به وحدها فإذا فليكن المشارك لها في هذا الخير العظيم هو أختها، وكأنها غير عالمة بتحريم الجمع بين الأختين، ولذا فإنه أخبرها من أن أختها لا تحل له.

ووصل بين الجملتين في قوله: " **لست لك بمخلية** " وجملة " **وأحب من شركني فيك أختي** " للمناسبة بين الجملتين واتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

وأتت جملة " **قال** " مفصولة عما قبلها للاستئناف البياني وفصل بين جملة " **قال** " وجملة " **إنها لا تحل** لي "؛ لأنها وقعت جوابًا أثارته جملة " قال " والتقدير فماذا قال: فكان الجواب: إنها لا تحل لي " لشبه كمال الاتصال، وأكد الكلام بـ " إن واسمية الجملة " ليبين أنها لا تحل له البتة لما فيه من الجمع بين الأختين، لقوله تعالى: " وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف.

ثم قالت له" **بلغني أنك تخطب** " فأخبرته بأنه حدثت أنه سيتزوج، فأجابها عليه السلام بقوله: " ابنة أم سلمة ".

وحذفت أداة الاستفهام في قوله: " **ابنة أم سلمة** " والتقدير: **أأبنة أم سلمة** " وقد حذفت أداة الاستفهام لدلالة السياق عليه، والاستفهام للإنكار الذي يتضمن معنى التعجب وكأنه يقول لها عليه السلام: كيف أتزوج بنت أم سلمة وهي لا تحل لي.

والاستفهام الإنكاري فكأنك تنتظر من صاحبك جوابًا فهو سيفكر، ويراجع نفسه وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة، وبعد هذا التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معهما جوابًا، وفائدة الاستفهام الإنكاري، ومزية على النفي الصريح، هي أن المتكلم عندما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام، فإن ذلك يدل على الثقة التي تملأ نفسه؛ لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب، لرده عليه قائله جوابًا على استفهامه. (١)

وأخبر النبي أم حبيبة بقوله: " **إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري فأحلت لي** " وهي جهة الأخوة من الرضاعة؛ لأن ثويبة مولاة أبي لهب أرضعتني وأباها، فهناك مانعان يمنعان من الزواج أولا كونها ربيبة والله يقول في ذكر المحرمات من النساء " **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** " ثانيا: الرضاع، فهي ابنة أخيه من الرضاع ". (٢)

وتحريم الربيبة بشرطين: أحدهما: أن تكون في حجره والآخر: أن تكون أمها قد دخل بها فإذا عدم أحد الشرطين لم يوجد التحريم قالوا؛ لأن الزوج إنما جعل محرما لها من أجل ما يلحق من المشقة في استتارها عنه، وهذا المعنى لا يوجد إلا إذا كانت في حجره، واحتجوا بقوله عليه السلام لو لم تكن ربيبتي في حجري فشرط الحجر." (٣)

وقوله:" **فلا تعرضن على بناتكن وأخواتكن** " نهاهن عن ذلك لعدم جدواه، فالخوض فيه إضاعة لنفيس الوقت؛ فالنهي هنا ليس نهي تكليف، ولكنه

(١) البلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع ص ١٩٣.

(٢) شرح سنن أبي داود ج٥ ص ٢٣٧.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٧ ص ٢١٢.

مستعمل في الإرشاد كما تستعمل صيغة الأمر في الإرشاد والمشورة، فليس النهي نهي تحريم ولا كراهة؛ إذ لا يترتب على المنهي مفسدة ولا ما يشبهها ".[١]

وأتى بلفظ الجمع وإن كانتا اثنتين؛ ردعا وزجرا أن يعود له أحد بمثل ذلك.[٢]

وقال: " **لا تعرضن على بناتكن** " ولم يقل: اللائي في حجري، ولكنه سوى بينهن في التحريم.

وإضافته عليه السلام إياهن إلى الحجور، إنما هو الأغلب مما تكون عليه الربائب لا أنهن لا يحرمن إذا لم يكن كذلك.

ووصفهن بالإضافة إلى الحجور؛ لأنه الأغلب مما تكون عليه الربائب مع أزواج أمهاتهن." [٣]

وسمي بنت أم سلمة درة، وكأنه رمز بذلك إلى غلط من سماها زينب.

---

[١] النظر الفسيح عن مضائق الأنظار في الجامع الصحيح ص ١٩٨.

[٢] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٤ ص ١٨٢.

[٣] شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٧ ص ٢١٣.

الحديث الثاني

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا».

يدل الحديث الشريف على وجوب إجابة الدعوة لوليمة العرس خاصة؛ لأن الوليمة إذا أطلقت حملت على طعام العرس.تبرز أهمية الخطاب في اختيار ألفاظ الحديث التي تجمع بين الوجازة ودقة اختيار ألفاظ الحديث حيث جمعت بين الأساليب الخبرية والإنشائية وأسلوب الشرط وجوابه ثم النتيجة الحتمية لفعل الشرط وهذا يدل على دقة البلاغة النبوية.[١]

استهل الهدي النبوي الشريف بأسلوب الشرط واستخدم أداة الشرط " **إذا** " دون " **إن** " وهي تدخل على الشيء المحقق الوقوع، لتدل على تلبية الدعوة واستجابتها و" القصد من مجيء الشرط ماضيًا، وإن كان معناه الاستقبال، هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع وهذا ما فسروا به التعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية."[٢]

وجيء بهذا الفعل على صيغة الماضي، وإن كان معناه المستقبل؛ للدلالة على أنه متيقن الحصول ودل على ذلك اقترانه بأداة الشرط (إذا) وبناء الفعل للمجهول للعلم بالفاعل.

والأصل في " **إذا** " أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه، ولذلك كان الحكم النادر غير مقطوع به في غالب الأمر، وغلب لفظ الماضي مع " **إذا** " لكونه

---

[١] صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٦رقم الحديث ٥١٧٣.

[٢] معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ج٤ ص ٦٤.

أقرب إلى القطع بالوقوع نظـرا إلى اللفـظ، إنمـا كان هـذا بـالنظر إلى اللفـظ لأن الماضي معها ينقل إلى الاستقبال. "[١]

فجاءت جملة الشرط فعلا ماضيا لتحقق الوقوع ليؤكد الفكـرة الـتي أراد الرسول عليه السلام تثبيتها في النفوس والحث عليها وهي تلبية الدعوة إلى حضور وليمة العرس.

والفرق بين النداء والدعاء: أن النداء هو رفع الصوت بماله معـنى والعـربي يقول لصاحبه ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا أي أبعد له، والدعاء يكون برفـع الصوت وخفضه يقال دعوته من بعيد ودعـوت الله في نفسي- ولا يقـال ناديتـه في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل دعا يدعو وادعى ادعاء لأنـه يـدعو إلى مـذهب من غير دليل، وتداعى البناء يدعو بعضه بعضـا إلى السـقوط، والدعـوى مطالبـة الرجل بمال. [٢]

وفي التعبير بلفظ "**أحدكم** "ما يشعر بالعموم وأن المدعو فيها جميع الناس لا تختص بفرد دون فرد وعاون على فهم هذا المعنى "**ضمير الخطـاب ومـيم الجمـع المتصل**" المعبر عنهما بلفظ " **أحدكم** " لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام جعلها شرًا لأنها يـدعى إليها الأغنياء، ويترك الفقراء، وعلى الإنسان تلبيتها ومن تركهـا فقـد أثـم، وعصي- الله ورسوله.

---

[١] بغية الإيضاح ج١ ص ١٤١.

[٢] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٣٤.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (١)

والفرق بين الواحد والأحد " أن الواحد أعم موردًا، لأنه يطلق على من يعقل وغيره، والأحد لا يطلق إلا على من يعقل." (٢)

و" **الوليمة** " الطعام الذي يصنع عند العرس، وقد أولمت أولم واللام للعهد أي الوليمة المعهودة وهي وليمة العرس.

وجاء جواب الشرط بأسلوب الطلب بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر في قوله: "**فليأتها** " مقترنا بـ " **الفاء** " التي تدل على سرعة الاستجابة؛ لإفادتها معنى الترتيب والتعقيب فضلًا عن ربط الجمل ببعضها وهذا ما يفيد الكلام ترابطًا وتناسقًا، حيث أن هذه الفاء لا تعطي فرصة للتأخير والتردد، بل سرعة التنفيذ على سبيل الإنجاز، وقد وقع الانسجام بين جملتي الشرط والجزاء مما يحرك المشاعر، ويوقظ الوجدان السرعة والمبادرة إلى فعل الشيء، فالفاء تدل على قوة الربط والامتزاج بين الجملتين.

وتضمن جواب الشرط معنى الإلزام في الفعل " **فليأتها** " حيث يدل الفعل على معنى الإلزام لاستجابة الدعوى.

هذا وقد جاءت ألفاظ الحديث مترابطة متماسكة في غاية الدقة والبراعة، وتنوعت أساليب الحديث ما بين الخبر والإنشاء وجاء الشرط والجواب متلاحقين مترابطين كل يؤدي دوره في إفادة المعنى.

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ص ٢٥ رقم الحديث ٥١٧٧.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٥٦٥.

وهذا ما عبر عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: " واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضه في بعض ويشتد ارتباط ثان منه بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعه في النفس وضعًا واحدًا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجئ على هذا الوصف حد يحصره ." [١]

وقد التفت من أسلوب المضي في قوله عليه السلام: " **دعي** " إلى الأمر في قوله: " **فليأتها** " وفي هذا تنشيط للذهن وتحصيل للإيقاظ لأن النفس تتوق إلى ما سيأتي بعده.

"إن الانتقال من صيغة إلى صيغة إنما يكون من أجل الالتفات، ليكمل أمر الخطاب، وتتفاوت درجته في البلاغة، وهذا إنما يدرك بالذوق الصافي الخالص عن شوب البلادة، وما هذا حاله فهو من دقيق علم البلاغة وغامضها." [٢]

[١] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص٩٣.

[٢] الطراز للعلوي ج ٢ ص ٧٣.

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ» [1] **فخلقت من الضلع الأعوج، والضلع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج، وإن ذهبت تقيمه انكسر.**

فهذه المرأة أيضاً إن استمتع بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لابد من مخالفة، ولابد من تقصير، مع القصور الذي فيها.

فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، ومقصرة أيضًا، فإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، يعني معناه أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرها طلاقها. [2]

استهل الهدي النبوي الشريف بالأسلوب الخبري الذي يتضمن بداخله التشبيه الذي أراد عليه السلام أن يقربه للأذهان بأن شبه المرأة بالضلع في قوله عليه السلام : " **المرأة كالضلع** " [3] فهو تشبيه حذف منه وجه الشبه ، أي هي كالضلع في الاعوجاج؛ فالمرأة للمجتمع كالأضلاع للجسد ، وكما أن الأضلاع تحمي القلب في جسم الإنسان فالمرأة تحمي قلب المجتمع ، فخلق المرأة من ضلع

---

[1] صحيح البخاري ج ٧ ص ١٢٦ رقم الحديث ٥١٨٤.

[2] شرح رياض الصالحين ج٣ ص١١٧.

[٥] معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الر ازي أبو الحسين المتوفى (٣٩٥) هـ) تحقيق : عبد السلام هارون الناشر : دار الفكر ، عام النشر ١٣٩٩هـ١٩٧٩م .ج٣ ص ٣٦٨ .

على سبيل التشريف والتكريم لها ، وهذا يناسب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " استوصوا بالنساء خيرا " فالضلع في أصل خلقه معوج ، وهو بهذا الاعوجاج يؤدي وظيفته التي خلق من أجلها ، وهي الحفاظ على القلب والرئتين ، فخلق الله تعالى معوجا فصورة الضلع الانحناء وهذا يناسب جانب الحنو وتغليب جانب العاطفة على زوجها وأولادها فهو يفسر طبيعتها ووصفها وما جبلت عليه من الحنان .

وفيه دلالة أخرى وهي كون المرأة مخلوقة من ضلع الرجل، فذلك إن دل يدل على الحنين إلى الرجل فهي جزء منه تحتاج إليه وهو كذلك يحتاج إليها، وفيه " للمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه معها وليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عن طيشها وغضبها.

اقتداء برسول الله، فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل قال، وأعلى من ذلك أن الرجل يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة فهي التي تطيب قلوب النساء. " [١]

والتشبيه في الحديث الشريف من قبيل التشبيه المفرد المجرد فالطرفان مفردان غير مقيدان فهو ليس مقيدا بقيد، وليس هيئة مركبة من عدة أمور فهو شيء واحد ليس مكونا من أجزاء. وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس ومن قبيل التشبيه المرسل وهو الذي ذكرت فيه أداة التشبيه. [٢]

وتأتي جملة الشرط " **إن أقمتها كسرتها** " بالتعبير بـ " **إن** " التي تدل على الشرط المشكوك في وقوعه

---

[١] شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٨ ص ٧٩.

[٢] بغية الإيضاح ج٣ ص ١٨.

وإيثار التعبير بالأفعال الماضية لتحقق الوقوع أي إن حاولت أن تقيمها تماما فإنك ستكسرها كما أنك إن حاولت أن تقيم الضلع تماما على شكل مسطرة وعلى شكل مستقيم فإنك ستكسره ولذا عليك أن تستمع بهذه المرأة، وكسرها طلاقها وهو ضرب مثل للطلاق أي إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها " وفيه رمز إلى التقويم أولا برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، وهذا في الأمور التي تخص بحقه في المعاشرة، فإن تجاوزت الحد وارتكبت المعصية بمباشرتها فلا يتركها على عوجها. " [١]

أي "تردها إلى إقامة الاستقامة وبالغت فيها وسامحتها في أمورها وما تغافلت عن بعض أفعالها." [٢]

واعلم أن المَثَل قد يُضرَبُ بجُمَلٍ لا بدَّ فيها من أن يتقدّمها مذكورٌ يكون مشبَّهاً به، ولا يمكن حذفُ المشبَّه به والاقتصار على ذكر المشبَّه، ونقلُ الكلام إليه حتى كأنه صاحبُ الجملة، إلا أنه مشبَّهٌ بمن صفته وحكمه مضمون تلك الجملة ". [٣]

وفيه الندب إلى مدارة النساء وسياستهن والصبر على عوجهن، وإن من رام تقويمهن رام مستحيلًا وفاته الانتفاع بهن مع أنه لا غني للإنسان عن امرأة يسكن إليها.

---

[١] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ج١٦ ص ٢٣٤

[٢] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج٤ ص ٣٠٨.

[٣] أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١١٣.

وتتوارد جملة الشرط الثانية بحرف العطف الواو وعطف الجملة الثانية على الجملة الأولى لما بينهما من الاتفاق في الخبرية لفظ ومعنى وفي المضي، ولوجود المناسبة بين الجمل وعدم المانع من العطف " وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاؤمه، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤمًا، كانت الواو أكثر تمكنا وأحكم إصابة." [١]

وقوله: " **إن استمعت بها استمعت بها** " يستنبط منه أن نظامًا إذا احتوى على خلل، وكان في إصلاحه خشية النقص رأسا، ناسب ترك التعرض له، والاستمتاع به على عوجه، فإن تعذر فتركه أولى". [٢]

فعبر بالشرط والجزاء المتلاحقين المترابطين فقد توالت الجمل تلو بعضه، وكأنه عليه السلام يشير بذلك إلى أن التقويم برفق لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمر على عوجه، ويمثل هذا الأسلوب بسهولة ألفاظه وجزالتها طريق من طرق تبليغ الدعوة وإرساء قواعدها ومبادئها، وهذه السمات ميزة في أحاديث الرسول عليه السلام فقد أوتي جوامع الكلام، وتحمل في طياتها الكثير من المعاني مع إيجازها ودقة معانيها.

ويمثل التكرار اللفظي في الحديث النبوي معنى المداومة والاستمرار، ليدرك السامع المعنى المراد وقد ذكر ابن جني التكرار عند العرب وقسمه إلى

---

[١] دلالات التراكيب ص ٢٨٥.

[٢] فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهي (جمع الأمالي وحررها وضع حاشية ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ج٥ ص ٥٤٨.

قسمين وجعله ضربا من التوكيد فقال :" اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له ، فمن ذلك التوكيد والتكرير وهو على ضربين : أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك ، قام زيد قام زيد ، والثاني : تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين : أحدهما للإحاطة والعموم ، والآخر للتثبيت والتمكين ، الأول كقولنا : قام القوم كلهم ، ورأيتهم أجمعين ، والثاني: قام زيد نفسه ورأيته نفسه".[١]

والتكرار وسيلة من وسائل الدعوة يستعمله النبي عليه السلام إذا وجد ضرورة لذلك، وفي ذلك يقول الخطابي: " إنما يحتاج إلى التكرار ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها". [٢]

هذا وقد شكلت ضمائر الغيبة العائدة على المرأة ترابطًا قويًا أدت إلى الانسجام والإيقاع وربطت أجزاء الحديث بعضه ببعض، وبلغ عدد الضمائر خمس ضمائر، وكلها تعود على المحال إليها ألا وهي المرأة.

وتأتي الجملة الاسمية بتقديم الجار والمجرور في الهدي النبوي في قوله عليه السلام: " **وفيها عوج** " لحصر العوج على المرأة لا يتعداها إلى غيرها، وطريق التقديم، وفائدة القصر تأتي من أنه ضرب من ضروب الإيجاز الذي هو لب البلاغة وأساسها.

---

[١] الخصائص لابن جني لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة ج٣ ص ١٠٤، ١٠٥.

[٢] إعجاز القرآن للخطابي مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) ت: محمد خلف الله، د محمد زغلول سلام، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦ م. ص ٥٢.

ومَن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقُّه التأخير: يجد أنهم يريدون بذلك: التخصيص.

ويختم الهدي النبوي الشريف بالتذييل الذي ضرب مضرب المثل في قوله عليه السلام: " **وفيها عوج** " وذكره تأكيدًا لمعنى الكسر، أو ليبين أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع فضرب به المثل لأعلى المرأة؛ لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها وهو الذي يحصل منه الأذى.

الحديث الخامس

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّغَارِ» وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ ابْنَتَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ". [١]

في هذا الحديث النبوي الشريف ينهانا الرسول عليه السلام عن نكاح الشغار، وعرفه بأن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق.

والشغار المنهي عنه أن يزوج الرجل امرأة هو وليها رجلا على أن يزوج الآخر ويعقد بينهما النكاح على ذلك من غير مهر ، وكان الرجل يقول للرجل في الجاهلية شاغرني أي زوجني ابنتك على أن أزوجك ابنتي وقيل لذلك شغار ،لأن كل واحد منهما يشغر إذا نكح ، وأصل الشغر لكلب وهو أن يرفع إحدى رجليه ويبول فكنى بذلك عن النكاح إذا كان على هذا الوجه وجعل له علمًا كما قيل للزنا سفاح لأن الزانيين يتسافحان يسفح هذا الماء أي يصبه ويسفح هذا أما النطفة وأما الماء الذي يغتسلان به فكنى بذلك عن الزنا وجعل له علما ، وكان الرجل في الجاهلية يلقي المرأة فيقول لها سافحيني فيكون ذلك عنده من أن يقول : زانيني .[٢]

وعبر بـ " الشغار "[٣] على طريق الإجمال ثم فسره بطريق التفصيل بقوله : "» وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ ابْنَتَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ"

---

[١] صحيح البخاري ج ٧ص١٢ رقم الحديث ٥١١٢.

[٢] غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ) تحقيق: د. عبد الله الجيوري، الناشر: مطبعة الحاني – بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ج١ ص ٢٠٧.

[٣] الشغار بكسر الشين: نكاح كان في الجاهلية، وهو أن تزوج الرجل امرأة ما كانت، على أن يزوجك أخرى بغير مهر، وخص به القرائب فقال: لا يكون الشغار إلا أن تنكحه وليتك، على أن ينكحك وليته؛ وقد شاغره، لسان العرب ج٤ ص ٤١٧.

فالإيضاح بعد الإبهام " ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم ، أو لتمكن اللذة بالعلم به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه .[١]

وفي التشبيه بهذه الهيئة القبيحة تقبيح للشغار وتغليظ على فاعله كأن كلا من الوليين يقول للآخر لا ترفع رجل ابنتي حتى أرفع رجل ابنتك. [٢]

والعلة في البطلان التعليق والتوقيف فكأنه يقول لا ينعقد لك نكاح بنتي حتى ينعقد لي نكاح بنتك وليس المقتضى للبطلان ترك ذر الصداق لأن النكاح يصح بدون تسمية الصداق. [٣]

وفي الشغار" وصفين أحدهما تزويج كل من الوليين وليته للآخر بشرط أن يزوجه وليته، والثاني خلو بضع كل منهما من الصداق فمنهم من اعتبرهما جعا حتى لا يمنع مثلا إذا زوج كل منهما الآخر بغير شرط وإن لم يذكر الصداق أو زوج كل منهما الآخر بالشرط وذكر الصداق، وذكر أكثر الشافعية إلى أن علة النهي الاشتراك في البضع، لأن بضع كل منهما يصير مورد العقد، وجعل البضع صداقا

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة ج٣ ص ١٩٧.

[٢] شرح القسطلاني إرشاد الساري ج٨ ص ٣٩.

[٣] السابق ج٨ ص ٤٠.

مخالف لا يراد عقد النكاح وليس المقتضى للبطلان ترك ذكر الصداق، لأن النكاح يصح بدون تسمية الصداق إذ لم يصرحا بذكر البضع فالأصح عندهم الصحة. [١]

وفي التعبير بأن والفعل في قوله:" **أن يزوج** "

و" **أل** " في الرجل للعهد أي الرجل المعهود والمقصود به ولي أمر المرأة التي يريد تزويجها والمقصود بقوله:" ابنته" أي من يريد تزويجها.

وقد تواردت الأساليب الخبرية في الهدي النبوي دون الأساليب الإنشائية للدلالة على التأكد والثبوت وفي قوله: " ليس بينهما صداق" إيغال يفيد تأكيد الكلام وثبوته.

[١] فتح الباري لابن حجر ج٩ ص ١٦٣.

الحديث السادس

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». [1]

من حق الزوجة على زوجها أن تطيعه في كل شيء، ومن ذلك أنه إذا دعاها إلى الفراش أطاعته، وإذ أبت ورفضت لعنتها الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى حتى تصبح.

يستهل الهدي النبوي الشريف بجملة الشرط التي تدعو إلى الترابط والتماسك في نص الحديث، وقد بدأت بـ(إذا) التي تفيد تحقق الجواب لتحقق الشرط حيث أنها للشرط المقطوع بوقوعه، وهذا ما يشعر بالتوازن والإيقاع والتعليق بين الشرط والجزاء، فإذا توفر الشرط وجب تحقيق الجزاء وكأنه أمر واجب اللزوم.

ودخول (**إذا**) على فعل الشرط " **دعا** " الماضي لفظا، ولكنها تهيئه للاستقبال.

و" أل " في الرجل للعهد أي الرجل المعلوم المعهود والمقصود به في الحديث الزوج الذي تربطه بامرأته علاقة زوجية.

وآثر الهدي النبوي الشريف التعبير بالفعل " **دعا** " دون " **أمر** " لأن في الأمر ترغيبًا في الفعل وزجرًا عن تركه، وله صيغة تنبئ عنه، وليس كذلك الدعاء

[1] صحيح البخاري ج ٧ ص ٣٠ رقم الحديث ٥١٩٣.

وكلاهما طلب، والأمر يقتضي أن يكون المأمور دون الأمر في الرتبة، والدعاء يقتضي أن يكون فوقه." [١]

المسألة والدعاء: أن المسألة يقارنها الخضوع و الاستكانة ولهذا قالوا المسألة ممن دونك والأمر ممن فوقك والطلب ممن يساويك، فأما قوله تعالى " ولا يسألكم أموالكم " فهو يجري مجرى الرفق في الكلام واستعطاف السامع به ومثله قوله تعالى " إن تقرضوا الله قرضا حسنا "والدعاء إذا كان لله تعالى فهو مثل المسألة معه استكانة وخضوع وإذا كان لغير الله جاز أن يكون معه خضوع وجاز أن لا يكون معه ذلك كدعاء النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أبا جهل إلى الإسلام لم يكن فيه استكانة، ويعدى هذا الضرب من الدعاء بـ"إلى" فيقال دعاه إليه، وفي الضرب الأول بالباء.[٢]

وهذا الدعاء للمرأة قد يكون بالعبارة أو بالإشارة بالتصريح أو بالتلميح بلفظ الواضح أو التعريض.

و" أل " في الرجل للعهد أي الرجل المعلوم المعهود والمقصود به في الحديث الزوج الذي تربطه بامرأته علاقة زوجية.

والفرق بين "**المرأة** " و" **الزوجة** " إذا العلاقة جسدية بين الذكر والأنثى، ولا يوجد بينهما انسجام وتوافق فكري ومحبة تسمى الأنثى هنا امرأة، الزوجة إذا كانت علاقة جسدية ويرافق ذلك مع انسجام فكري وتوافق ومحبة

وقوله: " **إلى فراشه** " كناية عن الجماع، وفيه إيماء إلى التستر حالة الجماع، ويقويه قوله: " الولد للفراش" والكناية عما يستحي من التصريح به.

---

[١] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٣١.

[٢] السابق ص ٤٩٤.والآية ٣٦ من سورة محمد.

ثم يتوارد فعل الشرط في قوله: " **فأبت** " لأجل تأكيد الفكرة والحث عليها استخدم أسلوب الشرط، وهو من الروابط التي تربط فعلا الشرط والجواب، عبر الشرط والجزاء وعبر بالفاء لتلاحق فعلي الشرط في قوله: فأبت "و" دعا "و" الإباء شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس: إباء والمراد شدة الامتناع. "[١]

وفي التعبير بـ " **أن** " والفعل "**تجئ** " في تأويل مصدر أي: أبت المجئ والتعبير بالمصدر المؤول ما يشعر بالثبات والاستقرار.

ويأتي جواب الشرط فعل ماض في قوله: " **لعنتها الملائكة** " لإفادة تحقق الوقوع؛ لأنها كانت مأمورة إلى طاعة زوجها في غير معصية، وفيه أن " اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش. " [٢]

ولفظ الإباء يشعر بأن الهجر من المرأة، وكذلك يومئ من طرف خفي أنها تأبى الجماع وترفضه.

واللعن الطرد والإبعاد من رحمة الله وقد يقصد به مطلق السب.

و" أل " **في الملائكة** " للعهد والمراد بالملائكة جماعة مخصوصون وأل للعهد وهم الحفظة أو ملائكة موكلون بذلك، أو عموم الملائكة. " [٣]

---

[١] التحبير لإيضاح معاني التيسير، لمحمد بن إسماعيل صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: مُحَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق

أبو مصعب، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض -المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢ م، ج٦ ص ٤٤٨

[٢] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٨.

[٣] المنهل الحديث في شرح الحديث ج٣ ص ١٣٩.

وفي الحديث دليل على أن الملائكة تدعو على المغاضبة لزوجها الممتنعة من إجابته إلى فراشه وأما كونها تدعو على أهل المعاصي، فليس في الحديث إلا الدعاء على فاعل هذه المعصية الخاصة." [١]

وفي قوله: " **حتى تصبح** " إشارة إلى أن الدعوة خاصة بالليل لكن يمكن أن يشمل دعوة، ويستمر اللعن من حين الامتناع حتى الصباح، وكأن السر تأكد ذلك الشأن في الليل، والباعث عليه ولا يلزم من ذلك أنه يجوز الامتناع في النهار، وإنما خص الليل بالذكر، لأن المظنة لذلك." [٢]

وفيه " إنما غيا اللعن بالإصباح لأن الزوج يستغني عنها بحدوث المانع عن الاستمتاع فيه غالبا. "[٣]

وفي رواية " «**إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ**» ولفظ المهاجرة تعني أنها هي التي هجرت، وقد يأتي لفظ المفاعلة ويراد بها نفس الفعل، ولا يتجه عليها اللوم إلا إذا بدأت هي بالهجر، فغضب هو لذلك أو هجرها وهي ظالمة، فلم تستنصل من ذنبها وهجرته، أما لو بدا هو بهجرها ظالما لها فلا. [٤]

وفي الحديث إرشاد إلى مساعدة الزوج وطلب مرضاته، وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة وفيه أن أقوى التشويسات على الرجل داعية النكاح ولذلك خص الشارع النساء على مساعدة الرجل في ذلك. [٥]

---

[١] نيل الأوطار ج ٦ص ٢٤٩.

[٢] المنهل الحديث في شرح الحديث ج٣ ص ١٣٩، وشرح رياض الصالحين ج٣ ص ١٤١.

[٣] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٥ ص ٢١٢١.

[٤] شرح رياض الصالحين ج٣ ص ١٤١ والحديث رقم ٥١٩٤ في صحيح البخاري.

[٥] عمدة القارئ ج٢٠ ص ١٨٥.

الحديث السابع:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ». [1]

يخبرنا الهدي النبوي الشريف وينهانا عن دخول أقارب الزوج على النساء لما فيه من الهلاك والمفسدة التي تفسد البيوت وتجعل فيها من الخراب والطلاق، فهو محرم معلوم التحريم، وقد وصف الحمو بالموت؛ لأن الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي.

يستهل الهدي النبوي الشريف بأسلوب التحذير في قوله: " **إياكم والدخول على النساء** " بالنصب على التحذير ليحترز عنه أي اتقوا الدخول على النساء ودخول النساء عليكم، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بأجنبية بالأولى. [2]

و" **إياك**" كناية عن المنع والتحذير، والتبعيد عن الشيء معناها " بعد " أو باعد، أو احذر أو احفظ نفسك أو ق نفسك، ونحو ذلك من معنى التحذير، والكاف للخطاب، وهي بمعنى فعل التحذير نائبة عنه، وتسد مسده. [3]

وحذفوا الفعل من إياك لكثرة استعمالهم إياه في الكلام، فصار بدلا من الفعل، وحذفوا كحذفهم: حينئذ الآن، فكأنه قال: احذر الأسد، ولكن لا بد من

---

[1] صحيح البخاري ج ٧ ص ٣٧ رقم الحديث ٥٢٣٢.

[2] فيض القدير ج٣ ص ١٢٤.

[3] معاني النحو ج٢ ص ١٠٧.

الواو لأنه اسم مضموم، وإياك بدل من اللفظ بالفعل، كما كانت المصادر كذلك: نحو: الحذر الحذر.[١]

وقوله: " **والدخول** " منصوبا عطفًا على" **إياك**" المعرى بها والعامل في " **إياك** " محذوف أي باعدوا أنفسكم ثم حذف المضاف فقيل إياكم وعطف عليه الدخول.

وقوله: " **على النساء** " تفيد عدم الدخول على النساء والنهي هنا للتحريم أي منع دخول غير محارم النساء عليهن لعدم الوقوع في المعصية.

ثم تأتي الجملة الخبرية " **فقال رجل من الأنصار** " لتفيد تحقق الوقوع وتأكيده وقرنه بالفاء التي تفيد التعقيب والسرعة دون مهلة.

وفي تنكير كلمة " **رجل** " ما يشعر بالإفراد أي رجل واحد وقيد هذا الرجل بكونه من الأنصار حواري رسول الله ومناصريه.

وجملة القول هذه وقعت جوابًا لسؤال أثارته الجملة الأولى لماذا حذر رسول الله من الدخول على النساء؟ وناداه هذا الرجل بـ "يا" مع كون المخاطب قريبًا وهو رسول الله صلى الله عليه السلام تنزيلًا لبعد المنزلة منزلة بعد المكانة وذلك تعظيمًا لشأنه عليه الصلاة والسلام.

وفي إضافة " **رسول** " إلى لفظ الجلالة " **الله** " تعظيمًا لشأن المضاف.

وهذا الحوار الذي دار بين الصحابي ونبي الله محمد عليه الصلاة والسلام وترسيخ عقائد لا بد من الأخذ بها وعدم فعلها ألا وهي عدم دخول أقارب الزوج على الزوجة في حالة الخلوة بها، ويأتي الحوار بأسلوب الاستفهام في قوله: " **أفرأيت الحمو** " وهذا النوع من الاستفهام الوارد في الحديث من الاستفهام التقريري، وهو

[١] الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٤٠٨ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ج١ ص ٢٧٣، ٢٧٤.

إنشاء من حيث اللفظ لورود أداة الاستفهام الهمزة ودخولها على الفعل " **رأى** " وخبر من حيث المعنى لأن فيه تثبيت الخبر وتحقيقه، لأن الفعل رأى إذا دخلت عليه همزة الاستفهام صار بمعنى أخبرني.

وإيثار الفعل" **رأى** " لأن الرؤية لا تكون إلا لموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية لم يعرض معها آفة فالمرئي بها معلوم ضرورة، وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود كما أن كل إحساس من طريق اللمس فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود." [١]

والمراد من الاستفهام في هذا الهدي النبوي التقرير وهذا الغرض من أهم الأغراض في أسلوب الحوار؛ لأن فيه انتزاع بالإقرار من المخاطب، ولتقريب الحالة في نفوس المخاطبين، وقصد بهذا الاستفهام حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وهو أن الحمو يعد سببا للهلاك والفساد.

و" **الفاء** " في قوله: " **أفرأيت** " تشير إلى أن كلامًا جرى في نفس المخاطب طواه كما يقول الدكتور محمد أبو موسى: " لأنه جرى في خاطر صاحب الكلام ولم

---

[١] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٦٣.حم والأحماء: أقرباء الزَّوْج كَالْأَبِ وَالْأَخ وَالْعم وَغَيرهم وَالْوَاحد حم فِي غير الْإِضَافَة وَإِذا أضيف قيل: هَذَا حموها وَرَأَيْت حماها ومررت بحميها وَهُوَ أحد الْأَسْمَاء السِّتَّة الَّتِي إعرابها بالحروف مُضَافَة وَيُقَال أَيْضا: هَذَا حما كقفا وَهُوَ حماها. وَقَوله: أَلا حموها الْمَوْت مَعْنَاهُ أَن حماها الْغَايَة فِي الشَّرّ وَالْفساد فشبهه بِالْمَوْتِ لِأَنَّهُ قصارى كل بلَاء وَشدَّة وَذَلِكَ أَنه شَرّ من الْغَرِيب من حَيْثُ أَنه آمن مدل وَالْأَجْنَبِيّ متخوف مترقب ويُحتمل أَن يكون دُعَاء عَلَيْهَا أَي كَأَن الْمَوْت مِنْهَا بِمَنْزِلَة الحم الدَّاخِل عَلَيْهَا إِن رضيت بذلك. قَالَ لرجل: مَالِي أَرَاك محجما، الفائق في غريب الحديث والأثر لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨) تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان _ الطبعة الثانية ج ١ ص ٣١٨.

يفصح عن شيء منه، وإنما أبقاه ليراود نفس القارئ ويستثير حسه ثم لا يقع منه على شيء وكأنه تساؤل موقوف غير مجاب وهو أوقع في النفس من الجواب ".[١]

وقد جاءت جملة: " **فقال** " جوابًا لسؤال أثارته الجملة الأولى " **أفرأيت الحمو** " وبعد جملة القول شبه كمال الاتصال كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني وهذا ما يسمى بالاستئناف البياني.

وقد أتت جملة فقال " مقترنة بالفاء " لتدل على سرعة المبادرة بالرد دون استرخاء أو إعطاء فرصة للتفكير والروية.

وقد وفت الجملة الخبرية المتضمنة للتشبيه البليغ في قوله عليه السلام : " **الحمو الموت** " المعنى حق الوفاء حيث شبه عليه السلام الحمو بالموت على طريق التشبيه البليغ المحذوف الوجه والأداة ، وجعل المشبه مفردا والمشبه به مفردا ولكنه يحمل في طياته أشياء كثيرة ، وتشبيه الحمو بالموت هي صورة حسية قصد بها النبي إبراز الأمر المعقول أو المعنوي في صورة حسية محسوسة مشاهدة للمخاطبين حتى يتقرر المعنى ، ويتمكن في نفوسهم ، ونلاحظ أن الاستفهام في الحديث الشريف قد وقع في موضعه المناسب لمقام الكلام ، ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح، او وجهٍ من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في اثباتها _ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى. "[٢]

---

[١] شرح أحاديث من صحيح البخاري للدكتور محمد أبو موسى، نشر وطبع: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ٢٠٠١ م ص ٢٦٧.

[٢] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ج١ ص ٢١٩.

هذا الحديث الشريف يتضمن بعض التوجيهات النبوية الشريفة حيث يرشدنا عليه السلام، وليلفت المؤمنين إلى أمر قد يعدونه هينًا وهو عظيم الجدوى كبير الأثر، ومنه التشبيه البليغ وهو وتشبيه المفرد الذي لا يتركب من أجزاء تتضام منها جميعا وجه الشبه، أي ما يعد في العرف واحدًا، وإن كانت له أجزاء يتركب منها، لكن لا دخل لهذه الأجزاء في استخلاص وجه الشبه.

وهو تشبيه مفرد بمفرد مجرد بمجرد حيث أن التشبيه جاء مجردا عن التقييد.

"التشبيه البليغ - ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو الطّيّب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومُعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجوهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشُقّهُ عينه، وبالحبيب المتحجِّب لا يُريك وجهه، حتى تستأذن وسبب هذه التسمية: أن ذكر (الطّرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه والتشبيه البليغ - هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه".[1]

"ودخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، أي فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه وشبهه بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة لإلفهم بذلك حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة فخرج مخرج قول العرب الأسد الموت والحرب الموت أي لقاؤه يفضي إلى الموت،

[1] أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١٣٩، وجواهر البلاغة ج١ ص ٢٣٨.

وكذلك دخوله على المرأة قد يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة."[١]

وقال ابن الأثير في النهاية: " المعنى أن خلوة المحرم بها أشد من خلوة غيره من الأجانب لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه فتسوء العشرة بين الزوجين بذلك، ولأن الزوج قد لا يؤثر أن يطلع والد زوجته أو أخوها على باطن حاله فكأنه قال الحمو الموت أي لا بد منه ولا يمكن حجبه عنها كما أنه لابد من الموت.

هذا وقد اشتمل التعبير بقوله: " **الحمو الموت** " على أسلوب القصر وطريقه تعريف الطرفين فقد قصر الحمو على الموت قصرًا حقيقيًا للمبالغة في خطورة دخول الحمو على الزوجة، وذلك لأن الشر يتوقع منه أكثر من غيره، وقد عرف المبتدأ والخبر بلام الجنس ودلالة هذا الطريق على القصر دلالة تذوقيه، تفهم من فحوى الكلام وسياقاته وقرائن أحواله، والغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن فضلًا عن الإيجاز الذي هو لب البلاغة، وذلك لأن جملة القصر في مقام جملتين.

---

[١] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محي الدين ديب ميستو -أحمد محمد السيد -يوسف علي بديوي - الناشر: (دار ابن كثير، دمشق -بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق -بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

النهاية في غريب الحديث والأثر النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي ج١ ص ٤٤٨.

" والحاصل أن المعرف بلام الجنس إن جعل مبتدأ فهو مقصور على الخبر معرفًا بلام الجنس أو غيره نحو الكرم التقوى) أي: غيرها ... أو كان غير معرفًا بلام الجنس أصلًا نحو التوكل على الله ... وبهذا يظهر أن التعريف في (الحمد لله) يفيد قصر الحمد على الاتصاف بكونه لله ... وإن جعل خبرا فهو مقصور على المبتدأ، نحو: زيد الأمير ". [١]

وقد اشتمل الهدي النبوي الشريف على إيجاز القصر فقد وردت معان كثيرة بألفاظ يسيرة وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: "والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه؛ ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ. كما روى عن جعفر بن يحيى أنه قال مع عجبه بالإيجاز: متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيّا. ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيرا." [٢]

---

[١] المطول لسعد الدين التفتا زاني ص ١٧٨، ١٧٩.

[٢] الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري (المتوفى: ٣٩٥ هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ،
ص ١٩٠

الحديث الثامن

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ». [١]

يخبرنا الهدي النبوي بأن لا يجلد الرجل امرأته كجلد العبد ثم يقوم بعد ذلك بجامعتها في آخر اليوم.

استهل الهدي النبوي الشريف الحديث بالجمل الإنشائية بأسلوب النهي ليعبر عن فكرة معينة ألا وهذا الأسلوب لم يؤد بطريق الخبر وذلك؛ لأن المقام يستدعي هذا الأسلوب وفيه حث وإرشاد إلى عدم ضرب المرأة لينقل إلى المخاطب عدم إهانة المرأة بضربها، وهذا ما نهى عنه القرآن الكريم، فالقرآن أمر بهجر النساء في المضاجع وضربهن تذليلا منه للنساء وتصغيرا لهن على إيذاء بعولتهن، ولم يأمر في شيء من كتابه بالضرب صراحا في قوله تعالى: " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن."[٢]

وقد تضمن هذا الأسلوب الطلبي التشبيه فقد شبه الهدي النبوي جلد الرجل لامرأته المنهي عنه كما يجلد العبد لتأديبه في النهار ، وعندما يشتهيها يجامعها عند حلول الليل، وهذا التشبيه أدى إلى تقريب المعنى وتوضيحه ففي التشبيه إثارة للمتلقي وأعمق تناولا للمعاني، وتبرز بلاغة التشبيه في أن " للتّشبيه: روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا،

[١] صحيح البخاري ج٧ ص ٣٢رقم الحديث ٥٢٠٤.

[٢] سورة النساء آية ٣٤

ويكسوها شرفا ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتدُ الحواشي مُتَشعب الأطراف مُتوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدَوى.[١]

وهذا التشبيه من التشبيه البليغ وذلك؛ لأن المشبه به مصدرًا مبينًا للنوع، فضلًا عن أن المشبه يصير عين المشبه به في المعنى.

والمراد بالنهي الحث والإرشاد من عدم ضرب المرأة ومعاملتها معاملة العبيد والإماء، فالنهي مقيد بالضرب الشديد، وفي ضرب العبد دلالة إلا أنه لا يبلغ ضرب الحيوانات والمماليك.

" **فضرب العبد** " فجعل ضرب العبد من أجل الرق فوق ضرب الحر لتباين حالتهم؛ ولأن ضرب النساء إنما جوز من أجل امتناعها على زوجها في المباضعة.

فإن قلت: ما المفهوم منه أنه لا يضرب أصلًا وإذا ضربها لا يجامعها قلت الجماع من أنواع النكاح وضروراته عرفا وعادة فالمنفي هو الأول فكأنه قال إذ لا بد من مجامعتها فلا يفرط في الضرب "[٢]

وفيه تأديب الرقيق بالضرب الشديد والإيماء إلى جواز ضرب النساء غير مبرح وإنما يباح ضربها من أجل عصيانها زوجها فيما يجب من حقه عليها بأن تكون ناشزة كأن يدعوها للوطء فتأبى أو تخرج من المنزل غير إذنها فيعطيها بظهورها أمارة النشوز كالعبوس.

---

[١] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ج١ ص ٢١٩.

[٢] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان طبعة أولى: ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م ج١٩ ص ١٥٢.

وعطف بـ " **ثم** " التي تفيد التراخي في قوله: " **ثم يجامعها** " للإفادة التراخي أي أن هناك مهلة زمنية بين جلد المرأة ومجامعتها، أي مستبعد من العقل الجمع بين هذا الإفراط والتفريط من الضرب المبرح والمضاجعة.

وقوله: " **يجامعها** " لم ينه عن ذلك، وإنما أخبر أنه قد يبدو له فيجامعها كارهة، فلا يجد منها المودة التي تكون عند الوطء، وهو تقبيح الضرب وقرب ما يناقضه، لقلة الرياضة بذلك، لأن المرأة إذا عرفت قرب الرجعة وسرعة الفيئة، لم تعبأ بإذنه، ولا يقع منها ما جذبه الله إليه من رياضتها، ويدل على ذلك طول هجرانه لأزواجه مدة طويلة." [١]

وقد عمد الرسول الكريم إلى تثبيت المعاني في أذهان المخاطبين باستعماله الأفعال المضارعة " **يجلد** " و " يجامعها " بصيغة المضارعة مما يفيد استحضار الصورة ماثلة أمام العيان.

والتعبير بقوله: " **في آخر اليوم** " أي يجمع بين الأمرين الضرب والجماع في اليوم نفسه؛ لأن الغرض منه الزجر والمجامعة سريعا تفوت ذلك الغرض، وأيضا لذة الوقاع إنما تكون عند الألفة، فإذا كان قريب العهد بالضرب لا حلاوة في ذلك."[٢]

---

[١] التوضيح لشرح الجامع الصحيح ج٢٥ ص ٣٩.

[٢] الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هالمحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م

ج٨ ص ٥١٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فبعد الانتهاء من هذا البحث، وقد قمت بدراسة باب من أبواب صحيح البخاري؛ ألا وهو باب النكاح، ووقع اختياري على بعض الأحاديث، ووقفت على بعض الأسرار البلاغية وتبين لي بعض النتائج ومنها:

- أعطي الرسول جوامع الكلم، وهي ملكة وموهبة يقتدر بها على إيجاز الألفاظ مع سعة المعاني.
- استعمل الأساليب الخبرية لاختصاص موضوع النكاح بالتشريع، وعمد-عليه السلام-إلى المغايرة بين الأساليب كي لا يكون أسلوبه على وتيرة واحدة تبعث على الملل والسآمة في نفوس المتلقين، حتى يجدد نشاط السامعين، ويجعلهم يتفاعلون مع كل ما يقال.
- استعمال الاستفهام الإنكاري بدلا من الإنكار الصريح تلطفا من الرسول مع صحابته، وقد عالج بالاستفهام من القضايا والأمور؛ لأنه وسيلة للتأثير النفسي على الناس لما فيه من التشويق والإثارة من خلال الأسئلة التي يتم الإجابة عنها المصطفى عليه السلام.
- استعمال الأفعال المبنية للمفعول كما في " تنكح، تستأمر، تستأذن ... إلخ) لمناسبتها معنى الستر المبني عليه شأن المرأة في الإسلام.
- تعزيز وتنمية القيم الدينية والتربية على القيم والأخلاق الفاضلة.
- أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يراعي في إجاباته مقاصد الشريعة الإسلامية مع تلبية حاجات السائل وتقدير حالاته النفسية فيجيب بحسب ما يقتضيه المقام لا بحسب ما يقتضيه السؤال.

- تميزت الأساليب الإنشائية في ضوء المنهج النبوي بمزايا تربوية كالشمول، والتنوع، وهذا راجع إلى ما تتمتع به هذه الأساليب من قوة في التأثير على المتلقي وإقناعه بطرق يسيرة، وبعيدة عن التكلف.

وهذه هي بعض التوصيات التي أوصي بها:

- أوجه إلى الباحثين دراسة الحديث دراسة شاملة، ولا تنصب دراستهم على فن معين من الفنون البلاغية.
- دراسة كتب الحديث والعناية بها من الوجهة البلاغية، وليست الناحية الشرعية فقط.
- دراسة الجانب اللغوي والنحوي في كتب الصحاح.
- دراسة كل باب من أبواب الكتاب على حدة، وإبراز السمات البلاغية التي اشتملت عليها الأحاديث النبوية وذلك؛ لأن حديث رسول الله خير ما يطبق عليه قواعد البلاغة لغزارة المادة العلمية بالحديث النبوي، حيث لا يخلو حرف أو كلمة من الحديث إلا ونجد فيها من البلاغة والفصاحة.

فهرست المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ ه تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

٢- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تـ: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

٣- أساليب بلاغية، الفصاحة -البلاغة – المعاني لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي لناشر: وكالة المطبوعات – الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.

٤- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،
لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة،

٥- أسرار ترتيب القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٦- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (المتوفى: ١٤٠٣ هـ، الناشر: دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سورية، دار اليمامة – دمشق- بيروت)، دار ابن كثير – دمشق – بيروت) ط: الرابعة، ١٤١٥ هـ

٧- الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت،١٤٠١ هـ-١٩٨١ م

٨- أيسر التفاسير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م

٩- الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) تـ: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

١٠- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المتوفى: ٧٤٥ هـتـ: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: ٢٤٢٠.

١١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) تـ: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩.

١٢- البرهان في تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تـ: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م

١٣- البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر) البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حنبكة الميداني الدمشقي، (المتوفى: ١٤٢٥)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ١٩٩٦م.

١٤- بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ-١٩٦٥ م.

١٥- التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) الناشر: دار الغرب

الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٣ هـ، التحرير والتنوير، خرج الحديث في كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين الكشاف سورة النصر، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٦- التعريفات للجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تـ: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

١٧- تفسير السمعاني تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تـ: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

١٨- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفي المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ-١٩٤٦ م.

١٩- التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر طبعة ١٩٨٨.

٢٠- التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ضبطه وشرحه: الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي منشئ البيان والموظف بمجلس النواب طبعة دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٩٠٤.

٢١- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (المتوفى: ٨١٧ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤ – ١٩٦٤ م خرجه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قار يماز (المتوفى: ٧٤٨هـ من كتاب المنتقى

من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال الفصل الثالث في إمامة على رضي الله تعالى عنه المحقق محب الدين الخطيب.

٢٢- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠) تـ: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٢٣- دلائل الإعجاز للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١ هـ) تـ: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤٣١هـ-١٩٩٢ م.

٢٤- ذخيرة العقبى في شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر -دار آل بروم للنشر والتوزيع جـ(١٣ -٤٠) / ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣.

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تـ علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ

٢٦- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٢٧- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله(المتوفى: ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ ه

٢٨- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣) تـ: الدكتور عبد الحميد هنداوي،

الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٩- علم المعاني بسيوني فيود، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية، الطبعة: الثانية ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م

٣٠- علوم البلاغة " البيان، المعاني، البديع " تأليف أحمد مصطفي المراغي (المتوفى: ٣٧١ هـ) المكتبة العصرية صيدا – بيروت.

٣١- فتح البيان الأبي لطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا -بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م

٣٢- فتح البيان في مقاصد القرآن للحسيني البخاري القبوحي (المتوفى: ١٣٠٧ هـ) عنى بطبعه وقدم له وراجعه خادم العلم عبد الله الأنصاري الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

٣٣- فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٤ هـ.

٣٤- فن البلاغة د. عبد القادر حسين، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤م.

٣٥- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر -الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م

٣٦- في ظلال القرآن لسيد قطب الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣مطبعة دار الشروق طبعة جديدة مشروعة.

٣٧- الكافية في علم النحو لابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمرو بن أبي بكر المصري الأسنوي المالكي (المتوفى ٦٤٦:") هـ، تـ: الدكتور صالح عبد العظيم، الناشر: مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٣٨- كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، تحقيق: د/ علي حسين البواب. الناشر: دار ابن حزم – لبنان – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م.

٣٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٤٠- لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب تـ: د. حفني محمد شرف (أستاذ البلاغة، والنقد الأدبي المساعد -كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الناشر: مكتبة الشباب (القاهرة) -مطبعة الرسالة، عام النشر: ١٣٨٩ هـ-١٩٦٩ م.

٤١- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين الدمشقي النعماني تـ: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ط: الأولى – ١٤١٩_ ١٩٩٨ م.

٤٢- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي ص ٣١(المتوفى: ٧٤٩هـ) تـ: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢ م.

٤٣- لسان العرب لابن المنظور (المتوفى: ٧١١)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

٤٤- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣ م.

٤٥- اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢ هـ) تـ: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.

٤٦- المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م

٤٧- معاني القرآن للفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٤٨- معاني النحو د. فاضل السامرائي، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن جبل الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٥٠- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة لإبراهيم مصطفي، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار الناشر: دار الدعوة.

٥١- مفاتيح الغيب – التفسير الكبير للرازي (المتوفى ٦٠٦ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٥٢- مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفي: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق

عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧.

٥٣- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (المتوفى:٧٩٠) تـ: مجموعة من المحققين، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ٢٠٠٧ م

٥٤- المقتضب للمبرد المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) تـ: محمد عبد الخالق عظيمة. الناشر: عالم الكتب. – بيروت.

٥٥- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د. محمد أبو موسى، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية ١٤١٦هـ١٩٩٦م.

٥٦- من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

٥٧- من بلاغة القرآن للدكتور أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: نهضه مصر -القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥.

٥٨- المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث بدون تاريخ.

٥٩- الموسوعة القرآنية، خصائص السور المؤلف: جعفر شرف الدين تـ: عبد العزيز بن عثمان التويجري الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى -١٤٢٠ هـ

٦٠- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تـ: عبد العزيز بن عثمان التويجري.

٦١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تـ: د. علي دحروج المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) المحقق: د حسين بن عبد الله العمري -مطهر بن علي الأرياني -د يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت -لبنان)، دار الفكر (دمشق -سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م

٦٢- نظم الدرر في تناسب السور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، لترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون -بيروت الطبعة: الأولى -١٩٩٦م